مشكلة الحيـاة

△△△

ما معنى الحياة ؟ — ذلك هو السؤال الذي طالما أطلقه الانسان ، والرغبة تحدوه في معرفـة الاجابة عن سؤال آخر في الصميم ، هو : « كيف يجب » ان أحيا الحياة ؟ بيد انه قلما انتهى الى جواب مقنع . وقد جاء آخر ردّ من بعضهم بأن لا معنى للحياة ، فوجودنا غير ضروري ، وليس له من هدف ، وموتنا محض صدفة ؛ ولذا فإن على المرء أن يضرب صفحا عن سلوك مسلك « الجد » في حياته .

الواقع ان هذا الرد لا يجانب الصواب في شطره الاول ، فالحياة في حد ذاتها غير ذات معنى . ولكن حين نعمد الى البحث عن « المبدأ التقويمي » الواجب اتباعه في الحياة ، لا يسعنا ان نكتفي بهذه الملاحظة لنذهب مذاهب الفوضوية ونحوها ، وانما ينبغي إكمالها بملاحظة اخرى ، هي ان الانسان ، بخلاف بقية الاحياء ، كائن حر ، فهو لا يعيش بالغريزة ، بل بالذكاء والارادة . والحرية تستدعي التبعة ، أو تنطوي عليها ، إذ لا معنى لحرية بغير تبعة ؛ والتبعة نواة الالتزام ، وشرط كاف لقيامه ؛ فالحرية موجبة للالتزام اذاً ، وعلى الانسان ان يكون ملتزماً لا سادراً ، جاداً لا ساخراً أو لاهياً ، وإذا حريته ليست إلا وحدة متوترة بين نقيضين هما الانعتاق والالتزام ، ولولا الالتزام لما كان لها من معنى سوى فوضى الانحلال ، بل ان اقصى حرية لا تقوم الا في اقصى التزام .

ولكن ماذا على المرء ان يلتزم ؟ هل يلتزم العُرف والقواعد العامة التي وضعها البشر من وراء القرون ؟ بيد انه اذا فعل يفقد حريته ، سواء أفي خضوعه لأفكار سواه ، أم في خسرانه للاخلاص والايمان بهذه القواعد ، بحيث تأتي افعاله نوعاً من المطابقة الشكلية وضرباً من النفاق ، أي صورة من الخضوع والعبودية . ان عليه اولاً ان يصون حريته ، ليحفظ بها انسانيته ، لأن هاهنا صنوين . لذا ، فان موضوع التزامه لا يمكن ان يخرج عن إطار حريته ، بل ان ضرورة تكامله وصيرورته ماهيته تحتم ان تكون هـــذه الحرية هي موضوع الالتزام .

والحرية الانسانية حرية فكر وحرية فعل ، وطريق الفعل الحر هو الفكر الحر ، وها هنا يقوم معين التكامل ، إذ يتشكل موضوع اقصى التزام في « فكرة حرة معينة تكون عنواناً لمجمل حياة صاحبها » . ان عيش اية فكرة هو العنصر الفردي الذي يمكن له ان يميز انساناً من آخر ، وأن يضفي عليه قيمة خاصة ، اذ يمنح وجوده هدفاً أو معنىً ما ، فاذا ما كانت هذه الفكرة حرة ، قام ذلك المعنى في التكامل الصّراح . اننا لو تأملنا تاريخ البشرية ، لوجدنا انها انجبت رجالاً عرفوا للحياة معنى ، أو اعترف المجتمع لحيواتهم بمعان وقيم ، وما كان ذلك الا بفضل فكرة أو مثل اعلى صدر عن ذات الواحد من هؤلاء ، فوسمَ تاريخ حياته ، وكان كالمبرر الوحيد لوجوده ولموته على السواء . وهذا ما يقودنا الى القول ، « انه اذا كانت الحياة عديمة المعنى ، فما على الانسان الا ان يوجد هذا المعنى » .

والفكرة الحرة لا تعرف التعارض مع القيم الروحية ، اذ انها تصدر عن الذات بعيداً عن تأثير الذوات الاخرى ، كما ان صفاء طابعها الفكري يجعلها طليقة من أسر منافع الجسد ، ولذا فهي متصلة بالمطلق ، حيث تلتقي بما لا يطلب الا لذاته ، أي بالقيم الروحية التي تغدو مصدر الهامها . فاستلهام هذه القيم والتزامها نتيجة ضرورية لحرية الفكر . بل ان هذا الاستلهام المباشر هو امثلُ سبيـل الى تحقيق الخير حقاً ، وذلك بحل مشكلة التقيد بالعرف والتقاليد التي لم تعالج يوماً غير « احوال خاصة » ، وبالانطلاق نحو تناول العموميات الشاملة ، وسبر الجذور الاصيلة ، التي تنضوي تحت لوائها جميع تلك الاحوال ، سواء منها ما حدث او ما لم يجدّ بعد .

أجل ، ان الهدف الاصيل يبني للحياة معنىً ، وذلك على نحو غائيّ لا عِليّ ، ولو ان مبدأ الغائية أضعف من مبدأ العِلّيةِ في مجال التفسير : فنحن هنا بإزاء تقرير أثر سلوك للانتقال الى الفعل وخوض غماره ، لئلا تقع الذات في يأس يجر الى جمودها وذوبانها في اللاوجود . إن حرية الانسان ذاتها تقضي بالضرورة ، بأن يكون جوهر حياته « حياة من أجل » لا « حياة لأنّ » ، وذلك ما تحدده فكرة حرة أصيلة تدمغ مجمل هذه الحياة . وعلى ضوء هذا الاعتبار وحده ، تتعين قيمة وجود المرء .

محمد وهبي

مكسيم جوركي الناقد

بقلم احسان عباس

لو لم يكن لجوركي آراء صريحة في النقد الأدبي ، تصور طبيعة الأدب الذي يفضله ويحكم له بالسموّ ويريد له البقاء ، لكان في الأدب الذي حققه طوال حياته ما يشف عن رأيه في الأدب الصالح للحياة . فليس هنالك من خط قوي بين قوة النقد وقوة الابداع حين تجتمعان في شخص واحد، فكيف ونحن مع جوركي على ما هو أوضح من هذا كله لأنه فنان ناقد ، يعرف مواطىء قدميه بوضوح شديد ، ويحقق بفنه ونقده ما يؤمن به من مبادىء، وما تهدف له تلك المبادىء من غايات.

وليس لدى جوركي كتاب في النقد نضعه الى جانب كتاب « ما هو الفن » لتولستوي ، ولكن نظراته النقدية مبثوثة في كثير من المقالات التي كتبها، مثل مقالاته عن حرفة الكتابة، وتاريخ الأدب الروسي ، وما كتبه في نقد بعض القصص ، وفي تصوير بعض الاتجاهات الأدبية . وكثيراً ما يوجه جوركي عنايته الى رسم شخصية الاديب الذي يتحدث عنه خضوعاً منه لطبيعة الفنان فيه ، وأحياناً يهتم بالتحدث عن التيارات التي توجه الأدب اكثر من اهتمامه بالحديث عن الأدب نفسه .

والأساس الذي يرتكز عليه النقد عنده ، هو الاساس الذي يقوم عليه فنه، أعني إيمانه العميق بالشعب. فالشعب هو مصدر الأدب وهو قادر على ان يعبر عن جانب من ارادته تعبيراً أدبياً ، وبهذا الأدب يستطيع أن يستأصل الاخطاء التي تراكمت على مر الزمن وبذرت بذور العداوة والبغضاء والكراهية بين الشعوب وعلى ذلك تكون غاية الأدب – كغاية الفن عامة عند تولستوي – السعي الى توحيد الشعوب وربطها بروابط قوية عميقة وتحقيق الشعور في نفوس الناس بأنهم جميعا في كفاح من اجل الوصول الى حياة جميلة سعيدة حرة . فالادب على حد تعبير جوركي هو العين المبصرة للعالم كله – العين التي تخترق نظرتها أعمق اسرار الروح الانسانية أو هو قلب العالم النابض الذي يظل يخفق الى الابد بقوة الرغبة في المعرفة .

وفي ظني ان جوركي يحمّل جانباً من الادب الشائع المألوف تبعة تكبير الشقاق وتوسيع مجالات الفرقة بين الناس لأنه أدب قائم على الفروق الطبقية ، وعلى الصراع بين الفرد والفرد . وقد كان لهذه الحال الاجتماعية اثرها في حياة الأدب نفسه فهي التي أوجدت فيه موضوعات سيئة مثل الأدب الذي يدور حول الانتقام والحسد والطمع ، فلو انعدم الصراع بين الافراد من أجل لقمة العيش ، وانعدم الصراع بين الطبقات من أجل السيطرة والتحكم وبسط النفوذ ، اذن لمات كثير من موضوعات هذا الأدب ومات معها بعض الموضوعات التي نعدها خالدة – كموضوع الموت مثلاً – وحلّ محلها جميعاً ما يخالفها في الروح والغاية . بل هناك موضوعات أهم وأبعث على الأسى من موت فرد من الناس مهما تكن منزلته وقيمته . اما خلود تلك الموضوعات فانه خرافة أوجدتها الوحشة والضعف والحسرة التي يحسها الفرد في مجتمع مؤسس على الصراع الطبقي .

هذا الذي تقدم يجعلنا نثير حوله سؤالين جديرين بالاثارة أولهما : كيف يكون الشعب مصدراً للأدب ؟ والثاني : ما طبيعة الأدب الذي يريده جوركي ؟ :

وللاجابة على السؤال الاول نرى جوركي يقرر ان الشعب ليس مصدر القيم المادية فحسب بل هو منبع القيم الروحية ، فهو الذي ابتكر الاسطورة والملحمة وهو الذي اوجد اللغة، وهو صاحب الحكايات والاغاني والامثال – هو الذي خلق كل هذه الاشياء على الرغم من القيود التي كبلته على مرّ الزمن. وهذا الشعب هو الذي خلق اسطورة فاوست ليسجل بها عجز الفرد الذي يعادي القوى الشعبية ، وليسخر من فلسفته ومحاولته ان يستكشف ما يستغلق على المعرفة . بل ان اجمل ما صنعه عظماء الشعراء مستمد من القصص الشعبي،ذلك المنبع الزاخر بكل انواع النماذج والصور.

«ان عطيل الحقود، وهملت المتردد، ودون جوان المغرور، كل هؤلاء نماذج خلقها الشعب قبل ان يولد شكسبير وبيرون بزمن طويل ، وكان الاسبانيون يتغنون بأن الحياة حلم قبل ان يظهر كولدرون ، ومن قبلهم تغنى العرب بهذا آباداً طويلة. والقصص الشعبية سخرت من الفرسان قبل ان يجيء سرفانتس بنغمة لا تقل عن نغمته اسى واحتقارا . وان ملتون، ودانتي ومكيوفكز وجوته وشلر ارتفعوا الى القمم الشامخة حين استعاروا لانفسهم أجنحة من القوى الخالقة في الجماعة ، حين استمدوا وحيهم من منبع شعر الشعب ، وهو بعيد الغور ، شديد التنوع ، بليغ القوة ، عميق الحكمة » .

ويمضي جوركي في تصوير هذه الطاقـــة الادبية في الشعب فيقول : « لست اذكر هذا لأقلل من تلك الشهرة العالمية التي احرزها هؤلاء الشعراء ولكن ان كانت القطع الجميلة فيا خلقه الافراد تشبه الحجارة الكريمة ، فان القوة الجماعية في الشعوب هي التي خلقت تلك الاحجار نفسها . ان الفن في طوق الفرد ولكن الجماعة وحدها هي التي تحسن الخلق » .

والمسألة في اللغة أوضح من كل هذا ايضاً ، لأن المنجم الذي يتناول منه الاديب مادة التعبير هو اللغة المحكية الدراجة ، أي اللغة التي يخلقها الشعب ، وقسمة اللغة قسمين : دارجـــة وادبية ، تعني شيئاً واحداً فقط وهو ان هناك شخصاً يمد يده الى المادة الخام (أي اللغة الدارجة) فيصوغهـا صياغة جميلة . والأديب الحق هو الذي يستطيع في هذه الصياغة ، ان ينفي عن اللغة المحكية كل مـــا هو وقتي زائل أو رديء الواقع . ولكن لا ريب في ان الجماعات من صيادين ومربيات وسائقي عربات وغيرهم من ذوي الاعمال اليدوية رجالاً ونساء هم اصحاب الأثر الاول في تطور اللغة ، اما الأدباء فانهم يختارون ادق الكلمات وأحفلها بالقوة .

وفي الاجابة على السؤال الثاني يمكن ان نحـدد موقف جوركي من اتجاهين ادبيين كبيرين هما الواقعية والرومانتيكية ونرى ايها كان اقرب الى نفسه .

يرى مكسيم ان الاتجاهين صحيحـــان في حدود ، وانهما شيئان اساسيان في الادب ، ومن العسير ان نفصل احدهما عن الآخر عند كاتب كبير مثل تولستوي أو بلزاك أو تشيكوف. بل إن مما يميز الأدب الروسي عند جوركي امتزاج هاتين النزعتين وتداخلهما فيه، وبهذه الصفة يسمو الادب الروسي على سائر الآداب.

ولكن كلا هذين الاتجاهين قـــد ينحرف انحرافاً بعيداً ويتردى في هوة عميقة ، فالخط الذي تسير فيه الواقعية قد يبلغ بها اذا تطرفت الى مرحلة الطبيعية — وهي المذهب الذي يمثله زولا وتين ويقوم على نقل الحياة نقلاً حرفياً كما هي دون ادنى تغيير ، وهذا النوع يسميه جوركي « أدب الحقائق » ويتهمه بالعقم والعجز عن خلق « النماذج » ، وانه يصور الانسان مجبراً تعوزه الارادة وتعجزه المسؤولية ، وهو ينفي الجميل ، ويتعلق بسفاسف الحياة وتفاهاتها .

اما الرومانتيكية فيعجبه منهـــا الجانب الثوري الحيوي الذي يقوي في الناس ارادة الحياة ، ويدفعهم الى الثورة عـلى استبداد الواقع وطغيانه ، غير ان هناك ايضا نوعا آخر من الرومانتيكية، وهو النوع السلبي الذي يقود الناس الى التفكير في عوالمهم الداخلية ويشغلهم بمشكلات لا حلّ لها الا بالتأمل والبحث العلمي ، وفي هـذا النوع السلبي من الرومانتيكية تتضخم الفردية وتسيطر « الأنا » على كل اتجاهات الحياة ، ويمن يمثل هذا الاتجاه في مرحلته المتطرفة شعراء مثل ڤرلين ومايترلنك وريمبو ، وهذه الرومانتيكية تقضي على الشخصية بالجـــدب والاقفار أو تقودها الى التداعي والتحطم . ولذلك حمل جوركي على هذا اللون من الرومانتيكية وعاب شعراءها وعدّهم ثمرة لنظام اجتماعي مريض منحل ، لأن هذا الفريق من الشعراء فاقد لحاسة « بعد النظر » ، يعيش في واقع عصره ، ولا يعلو عن ان يكون صدىً لمجتمعه وطبقته، والأديب لا يستطيع ان يكون ذا نظرة موضوعية الا اذا تحرر من خرافات طبقته وانحرافها وتحيزها وقد يكون مثل ڤرلين شاعراً قديراً رقيق الشعر ناعم النغمات، ولكنه نتاج سيىء لذلك الانحلال الذي كان يسود الحياة في عصره .

ويثني مكسيم على الواقعية التي تميز بها الأدب في القرن التاسع عشر وخاصة الأدب الانجليزي، فهو الادب الذي خلق المسرحية الواقعية والقصة الواقعية ، وجعل ابطالها من المجتمع القريب المألوف بعد ان كان ابطال تلك المسرحيات والقصص من الامراء والفرسان ، وبهذه الطريقة اقترب الادب من الحياة واوجد للفرد متعة جمالية جديدة أو جمالاً جديـــداً هو سحر الكلمة واللغة ، وما فيها من دقة وحلاوة ونغمة جميلة .

ومما يميز هذه الواقعية ما فيها من تعقل وحدة في النقـــد واصحابها هم الذين تقدموا زمنهم عقلياً وادركوا عجز الطبقة الاجتماعية التي ينتمون اليها ، ولكنها مع ذلك واقعيـة ناقصة لأنها ألحت عـلى الهدم وحده دون البناء وعجزت عن ان تقيم شيئاً على انقاض ما هدمت. ان الهجوم على البناء الهرم المتداعي أمر سهل ، ولكن اين الانشاء الايجابي بعد هـذا كله ؟ ومع ذلك فلا ينكر جوركي عظمة الكتّاب الواقعيين امثال بلزاك وفلوبير وديكنز .

فالواقعية الايجابية البانية هي الشيء المفضل عند جوركي . فما هي حدود الواقعية ؟ ان الابتعـــاد عن عيوب مذهب الطبيعيين يجعل الواقعية بمأمن من نقل الحياة كما هي . ويخطىء من يظن ان الاديب الواقعي هو الذي يصدر الشيء كما يراه ،

قبس من شاعر الدهر شكسبير

بقلم صلاح الدين المحايري

*

لست ادري أيستطيع المرء* مهما بلغ من قوة الايجاز وعذب البيان ان يستعير قوة الساحر فيحصر المارد الجبار في قمقم ضيق وصندوق مغلق وان يسرح الطرف ببصر النسر الحديد في الجبل الشامخ المديد فيختزله في صورة محدودة النطاق تجتليها العين في لمحة عابرة وتلم بأسرارها المخيلة في لمع باهرة ، ولكن الذي ادريه ان شكسبير حدث من احداث الطبيعة الخارقة يتجسد في هيكل بشري مبدع ويتمثل في خيال ممرع . وهو يتلمس ببصيرة المتصوفة وايدي الحواة مكامن النفس واغوار الوجدان فيعرضها روائع من الشعر وفرائد من الحوار ويبرأها نماذج متنوعة مختارة من الخلائق تخطر بيننا وتطوف في روعنا وتصادقنا او تقارعنا ، وهي بعد أرسخ في الخواطر والذكريات من اصدقاء العيان واقرباء الواقع . ومعجزة العبقرية لا تتبدى في قياس عجيب رحيب كما تتبدى في آثار شكسبير الاصيلة . فمعرفته الواسعة وصوره البارعة ومهارته الخارقة في التنوع ورحابة آفاقه وعمق مداركه ووجدانه تسامت اللانهاية وترتسم في النفس عبابا موارا غير محدود لا تبين شواطئه ولا تتناهى صفحته . ولا يسع المتأمل في مواهبه الا ان تثور هواجسه فيردد في وصفه ما وضعه هو على لسان بعض ابطاله : (يا للعقل النبيل ! والموهبة الثرة ! والمدارك الإلهية !) . وهو صائغ صناع يلم بطرائق التعبير المختلفة التي يجب ان تجري على السنة الحكماء والحمقى والاحداث والمسنين والابرياء والمجرمين وسائر انماط الآدميين . واشخاصه صور من اللحم والدم تغتبط وتتألم وتضطرم نفوسها بالأحقاد والسخائم أو تفيض بالحب والخير . وحسبنا ان ننظر الى الاشباح والسحرة والجن في رواياته وهي مبتكرات وهمية صرفة جادت بها مخيلته الخصبة كحقائق واقعية تطاول الحقائق الماثلة وتبزها رواء وفتنة . واذا كانت العظمة في الشعراء الآخرين وليدة صفات محدودة معينة فهي في شكسبير وليدة جميع الصفات التي تتميز بها البشرية بسائر الوانها وظلالها .

ومن العسير الاحاطة بعبقريته فهي لا تطيب على القياس لتعذر المقارنة بينها وبين العبقريات الشعرية الاخرى . وان اطالة النظر في آثاره وإلفة اشخاصها لا تفسد بهجة الاستمتاع بقلائدها وكنوزها الفنية ولا تنقص الاعجاب الذي يبلغ حد الذهول بتنوع الوانها وتعدد صفاتها . فمشاهدة (هملت) مثلاً للمرة السابعة تفوق في تأثيرها وتغلغلها في مطاوي النفس وهز

* حديث اذيع من محطة دمشق

فاذا رأى موظفا أو عاملاً أو صاحب متجر نقل للناس صورته الحقيقية . ليس هذا شأن الواقعي وانما هو الاديب الذي يخلق «النماذج والشخصيات» — وواقعيته هي قدرته على ان يستخلص من عشرين عاملاً أو خمسين موظفاً ما فيهم من صفات مميزة وعادات واذواق وحركات ومعتقدات ثم يخلق من كل هذه موظفاً جديداً أو عاملاً آخر .

ومن هذه الواقعية البانية يتكوّن أدب قادر على ان يرفع الانسان فوق مستوى الحالات الخارجية في الحياة، ويحرره من اغلال الواقع المتضع ويفهمه انه سيد ذلك الواقع ، وانه حرّ يخلق الحياة ، وبهذا المعنى يكون الأدب دائماً ثورياً .

كلية الخرطوم الجامعية — احسان عباس

مكامن الشعور المشاهدة الاولى اضعافاً كثيرة. وكلما انصرمت السنون وتطاولت الاحقاب انكشفت الغلائل عن سر هـذه العظمة الفذة واتضحت احاجيها للمتأملين. فقد يحيط الناظر في طرفة عين بالأكمة المنخفضة ويستشف ما وراء هذه الاكمـة، ولكن بصره يرتد حسيرا عن رؤية الطود المنيف الباذخ فلا يستشرف تفاصيله الا بعد مراحل وئيدة. وقد لا يستطيع ابداً ان يحلق بناظريه الى قمته الشماء. وكذلك شأن العبقرية لا تتجلى ألغازها الا للصابرين المصابرين الذين يتعهدونها بالالفة والادراك والمحبة حتى تنبثق سناء وحكمة تنير سبيلهم المدلهم وترشدهم في مفاوز الحياة المديدة. ولا بد ان تبقى بعد ذلك زوايا كثيرة غامضة لا تطيب على الكشف والتعليل فهي خفية كأسرار الوجود الابدي ونواميس الحياة الخفية.

قد يتاح لأقران شكسبير كهوميروس، واسخيليوس، وسوفوكلوس، وافلاطون، وفرجيل، ودانتي، وسرفانتس وبوكاتشيو، ورابليه، وملتون، وبلزاك، ودستويوفسكي ومئات من عظماء الشعر والفن القصصي ان يسيطروا على بعض الاذهان الفردية والنوازع الذاتية سيطرة تفوق قوة تأثيره ولكنها لا تستطيع ان تبلغ مداه في بسط نفوذها على اذهان ومشاعر مجاميع من مختلف العقول والميول في شتى الاقاليم والعصور. واني لأحسب هذه المجاميع قد امعنت النظر في هذه الدرر الغوالي وتأملت طويلاً في محاسنها الباهرة فوجدت ان شكسبير يتذرع بمناهج سحرية عجيبة لتغذية الخيال والتصعيد بالروح درجات سامقة تشارف الجوزاء وابداع صور وعبر ترسب في قرارة النفس وتنتقش في صميم الوجدان لا يطاوله في ذلك قرين من الشعراء ولا خـدين من عباقرة الفن القصصي والمسرحي.

فشخصية (دون كيخوته) التي ابدعتها مخيلته (سرفانتس) الشاعر الاسباني العظيم، مثلاً، شخصية انسانية كاملة تخطر في اهابها البشري وتطمح وتمرح وتعبث وتسخر وتغضب كما يفعل ابناء الفناء سواء بسواء، وربما سقط القارىء الذاهـل في اسار منشئها وادلى انصاره بحجج قوية تثبت تفوقه في هذا الاثر الجليل على الشاعر الانكليزي العظيم. ولكن (دون كيخوته) في جميع الاحوال نموذج إلهي مبصوم بخاتم القـدر المحتوم وهو فارس نحيل ينفذ الى قلوبنا — بعد التياث عقـله — بمفارقات سلوكه وطيبة قلبه. ويتمتع بتقديرنا جميعاً على اختلاف الملل والنحل كمخلوق بشري سوي يضطرم بشعلة الحياة. غير ان (سرفانتس) لم يتخط، فيما ازعم، نطاقا محدوداً في حقـل الانسانية الوسيع، فأين منه اتساع افق شكسبير وامتـداد خياله المخصب فلا تكاد الذاكرة تلهج باسمه حتى يقترن بنماذج لا تحصى من النساء والرجال سوية قوية تذخر بالحيـاة والحركة وتنطوي على المهازل والفواجع. فثمة رجل كـ (فولتاب) يطلق العنان لشهواته ومهازله وبطل كـ (هملت) ينبض قلبه بالقلق والحيرة ويشرد لبه في مطارح التأمل البعيد، و (لير) يدفعه الانفعال لاهثاً وراء الفجيعة والمصير المحزن، يضاف الى ذلك مرونة بالغة، فقد استطاع شاعرنا بمهارته الخفية ان ينتقل بنا بين مختلف ضروب الايقاع والانغام وان يفاجئنا بتغيرات رائعة في موسيقى كلمه البليـغ فاكتسبت مسرحياته بذلك حركة مولدة اسبغت عليها ازهى حلل التعبير.

ولا بد لي هنا من الالماع الى الفروق الشاسعة بين المسرحية اليونانية القديمة والمسرحيـة الانكليزية في عصر (اليزابيت) الذهبي. فالفن المسرحي اليوناني فن ديني يرتكز الى الطقوس المقررة والقواعد المقننة ويتسم بجبرية آلية تخضع فيهـا ابطال الرواية الى هيمنة سلطة خارجية ترسم خطواتهم وتجعل ادوارهم ثانوية. فهم يصارعون القدر ويصاولونه فيصرعهم ويلاشي اثرهم في مطاويه. ولكن المأساة المسرحية في عصر اليزابيت تنبع

من قلوب الأناسي وترتكز الى ارادة البشر . فهملت هو هملت في كينونته الحقيقية لا لأن الهاً متقلباً عابثاً اراد له اتجاهاً معيناً الى النهاية المفجعة بل لأن دخيلته تنطوي على جوهر نفسي فريد يغاير الجواهر النفسية الاخرى وتنطبع بطابعه فيسدد سلوكها وجهات لا يمكن تبديلها . ولذا فهو يتمتع بالحق الانساني في الاختيار والتردد والخطأ فيبتعد عن مسالك الآلية الجامدة الرتيبة التي خمدت فيها ألفة الحياة والوعي . واذ استمد المؤلفون الدراميون في عصر اليزابيث قوتهم وبراعتهم من الفن الاتباعي (الكلاسيكي) القديم فقد عمدوا الى اختيار ما يلائم حاجاتهم ورغباتهم المستجدة . اما شكسبير كوكب ذلك العصر الساطع فقد حطم جميع القواعد المقررة وانصرف عن العناية بالمخطط الروائي وسياق العمل فيه الى الاهتمام بالاشخاص والابطال الروائيين ينفخ فيهم الروح ويرسلهم في زوايا الارض مسيطرين خاضعين عابثين مذنبين طاهرين ملتاثين متفلسفين وما شئت من ظواهر الحياة البشرية التي يشرد اللب في تعدادها . فلم يهتد في تأليف مسرحياته بدستور موضوع ولم يأخذ برأي مقطوع . وقد نظر الى مصير الانسانية في خواتيمه بعين العطوف الواجد الذي يفكر بقلبه وروحه متنكبا سبيل المذهبيين الذين يعيشون في قوالب ضيقة ويترنمون بتعاويذ مكررة مغلقة تفتقر الى نبضات الحياة المولدة ونسمات الواقع . ويقابل حبه للرجال والنساء العاديين في سموهم الانساني ارتياب بالطوائف الطاغية والنحل اللاغية والرعاع البلهاء الجامحين .

وفي النصوص والمقتطفات المزيجة يلتمع شكسبير الحقيقي، هنا وهنالك، بومضات خاطفة وشيكة فنشعر بوجود اثر طريف طليق يبلغ ذروة الكمال وتحتجب في نوره هفوات التسرع وسقطات الانفعال ، ولا يجدر بالناقد ان يحاول فصل اجزاء الكلم عن جريانه في آثار شكسبير بغية تلمس مواضع الجمال في استعارات أو تشابيه شاردة . فالجمال في مسرحياته رهين بتناغم الأجزاء في كلٍّ موّارٍ متماسك . وقد وصفه الأديب البلجيكي الكبير (مترلنك) في المقدمة التي وضعها لترجمة (مكبث) الى اللغة الفرنسية قائلاً : « هو اكثر الشعراء حكمة ومعرفة ووعيا وانسجاماً . فليس ثمة بيت من الشعر في مكبث لا تطرب موسيقاه ولا يبدو مقتبساً – اذا جازت المجازفة بهذا التشبيه – من الايقاع الباطني العميق للانفعال الذي يعرب لنا عن مضمونه » .

لقد نشأ شاعرنا في الزمن المناسب ، فاللغة الانكليزية كانت غضة فتية لم ترهقها الآلية الحديثة ولا اصاب الفاظها البلى بتكرار الاستعمال او سوئه فهيأت لشعرائه جواً لطيفاً بليل النسمات يحلقون فيها ويطلقون العنان لأخيلتهم وافراحهم في أطر مرنة من اوزان الفن وقيوده . ويرى النقادة الايطالي (تشياريني) ان الشاعر العظيم الذي يعيش في عصر طفولة اللغة الأدبية في بلاده يجد احسن الظروف واكثرها ملاءمة لانماء عبقريته وشحذ مواهبه . ففي عصر كهذا نشأ شعراء العالم العظام كهوميروس وشكسبير ودانتي وكوته وغيرهم فتجسدت عبقريتهم في اداة طيّعة من الكلم العذب البليغ .

حاولت في هذه الكلمة الموجزة ان اصيب قبساً ضئيلاً من هذه الشمس الساطعة او قطرات قليلة من هذا العباب الموار ، ارجو ان يعقبها قطرات اخرى ، وانى لي ان احتويه في فترة قصيرة كالحلم الذهبي . وليس للسامع بعد ان يروض نفسه على تذوق اسلوبه وتفهم لغته واسرار فنه الا ان يقلب كتبه وآثاره فتقفز الحياة لناظريه من صفحات مترعة بالحكمة والخير والجمال. ويخالني حين اتلو مسرحية لهذا المارد الوسيم رجلاً يستنشق الهواء النقي الذي يكتنف مشاهد الطبيعة الخارجية ويردد صدى اصواتها وحليتها وانفعالها فأجد حيثما شئت – على حد قوله :

« في الأشجار ألسنة ، وفي الجداول الجارية اسفاراً ، وفي الصخور عظات ، والخير في كل شيء » .

دمشق — صلاح الدين المحايري

وحده

بولس سلامة



سوط العذاب أطال سُهده فرثت لأنته المخده
أنّاته الحمراء جاريةٌ مـع الأنفـاس وقده
لزم الوسادة عُمرَه ما أطول الأعوام رقده
يوم السرير بعاشق أعيا الأسـاة فلن تصدّه
لا الليل زحزحه ولا وضح النهار أزال وجده
زفر الحديد ولا ملامة فالحديد أطاق جهده

يا ساجياً أكل الفراش ضلوعه وامتص جلده
يا برمكيّا ضافه شخص العذاب فقرّ عنده
عجباً أكنت حفيده أم كنت والده وجده
بوأته القمم العلى وعلى العصور حملت بندَه
ما آهة في الأرض إلاّ من معينك مستمدّه
أيوب أعوزه الخلود فجـاء منك يروم خلده
ثأر الزمان من الورى وعليك وحدك صبّ حقده

ظفرت يداك من الوجود بشوكه واضعت ورده
شوك أحدّته المباضع في العظام فما أحده
سمّته ألسنة الصلال وحسّك النفّاذ مـدّه
كم صدّ عنك مخاتلٌ هَزْلُ الزمان أجدّ سعده
قد كان يُكبر منك تسليماً فيشربه بسجده
فإذا به والجاه أبطرَه يصعّرُ عنك خدّه
رضع الخساسة منذ ما صدر اللئيمة فضّ نهده
العـار شدّ قماطه والفاجرات بسطنَ مهده
والدهر إن يهزل تسدْ عرش النهى والحسن قرده

وصرفت مدمعك الأنوف ببسمة فأتيت ضدّه
ضنّاً بوجهك أن تصغّره الدموع وأن تخدّه
عاف الدناءة سيّد جعل الزمان الوغد عبده
يودي الكريم من الطوى ويورّثُ الأجيال مجده

عشت الغريب سماحةً ومروءةً وعرى مودّه
وأشدّ آلام التغرّب جهـل منزلةٍ وشدّه
جار الحسام قرابه والغمد يجهـل منه حدّه
بصميمه الوشي المنمنم وهو لا يدري فرنده
بين الشهيد وأهله من شاسع الابعـاد وهده
جَلَدٌ تجوز به العيون وتجهل الأحداق بُعده
والسهل إن جاز المدى تتجاهل الأبصار نجده
ولكان يسعدك الثواء بموطن حلّيت بُردَه
لو كان يكتنف الشذا في عصفة الأرياح بلده

كيف السبيل لغفوة والهمّ ساق اليـك وفده
ليل المريض وهل له في العمر أو في الوقت مُدّه
ليل يضلّ به الزمان فليس يعلم منه قصده
أبد تحوك نسيجه كفّ السهـاد المستبده
يخلو من الطيف الأنيس وليت للأطياف ردّه
ولكان يقنع بالمنام فتى يرى الأحلام جنده
أفل الشباب وطيبُه أوّاه لو سدّت مسدّه
للصخر عيد شبابه وحرمت بهجتـه ورغده

بهظ الغطـاء رفيقه وأمضّ كاهله وزنده
قد كان بالأمس المحجّل لو هوى جبل لصدّه
أترى اللحاف غطاءه أم بات هـذا الستر لحده
كم مرة طلب الحمام يعوده فيبتّ عقـده
عشرين وعداً بثّها الأجل الكذوب وحلّ وعده
برق خلوب يحصد القلقُ الكسير القلب رعده
يا موت يا ملك السخا رحماك لو عجّلت فقده
عجباً لكفّك وهي دأماء العطاء تصير جعده
ولكنت أشفق راحم لو في المنام سلبت رشده
ما هدّه عمق الجراحة بل دفيق الوعي هـدّه

يا ايها الداني وقد تستوحش الآفـاق بعده
واذا مضى أرج الربيع ترقّب النسمات رنده
والذكريات اذا نشدن الخيّرين ذكرن رفده
عجباً أيذكره الزمان وتخفرَ الأصحاب ودّه
تتأوه العظمات إمّا تذكر العظمات عهـده
فتقول يا علم المروءة ويح بؤسك مـا أشدّه
مات المعذّب وحده أتراه عاش العمر وحده

بين الانسياق والانعتاق

بقلم نسيم نصر
استاذ التاريخ والادب في الثانوية الرسمية ، طرابلس

✳

من جذور البحث عن عوامل الانسياق والانعتاق*، في الأدب العربي ، الإلمامة بالقدر التحرُّري الناشىء عن الدستورية السياسية وبالموجة الانطلاقية في مدى التماس العالمي ؛ إلمامة لا تمتدّ العودة اليها ، في التاريخ ، الى أبعد من نصف قرن ، تقريباً .

من ذلك الحين اخذت بعض الاقلام العربية، لساناً او وطناً او كلاهما معاً ، تطرق ابواب الفكر السجين والبيان المعتقل ، معلنةً إهابة القافلة الأولى ، المجلجلة مقضّةً مضاجع الظالمين ، مشأشئةً اجفان النائمين على الضيم ؛ فعُقد لواء التحرُّر آنذاك على أمثال الشيخ محمد عبده وأديب اسحق وولي الدين يكن ؛ ولكن هؤلاء وبعض معاصريهم من الاحرار ، وان امتازوا بناريّة اللهجة امتيازاً اضفى عليهم شرف الوثبة الاولى في طريق الانعتاق ، فانهم بقوا يتوسلون الدمع والندب لتبديد الهموم واثارة الهمم تقليداً وانسياقاً .

وكانت يقظة الشعور بالظلم، في الداخل، توأماً للقاح الأدب العربي بآداب الأمم ، السائرة في طليعة الحضارة ؛ فطلع علينا الادب المهجري طلوعاً فيه من الحرارة ما ساعد على التنقية ، وفيه من الضوء ما كشف عن بواطن أجدت على العربية فجراً من التأملية رحيباً نيراً .

وان جاز الاكتفاء بتسمية ثلاثة طليعةً التحرُّر في الداخل، فلن يجدي مثل هذا الاجتزاء بالتسمية ، في الخارج ؛ فادباء المهجر كثرة عزّ بها البيان العربي ؛ وهي كثرةٌ كانت ينبوع الخير ، الذي لا يعدله ، في ميزان القيم ، ما تدفق على بلادنا من الثروات الماديّة، التي أجدتها على بلادهم الأمّ ، متاجر المغتربين ومصانعهم. فالرابطة القلمية ، في اميركا الشمالية ، والعصبة الاندلسية ، في اميركا الجنوبية ، ومن سايرهما من ادباء المهجر كانت لهم صنيعة فريدة ، في توليد الأدب العربي ، خالدة اين منها المال والقصور والحطام ...؟!

وكان ان التقت حركةُ التحرُّر ، في الداخل ، انطلاقة الاقتباس المولّد ، في الخارج ، بعد ان طغت على العالم سهولة المواصلات ، ودوّت في انحاء الدنيا ، دانيها وقاصيها، أصوات المذياع ، والتفّ الفكر العالميّ على نفسه يحتضن الأمم صغيرها وكبيرها ، في مثل الاونسكو وسواه من المؤسسات الفكرية العالمية ، وزخرت المكاتب والمطابع بالتراجم والمعاجم ؛ فاذا بنا نحن ، كغيرنا من الأمم ، نصحو على ادباء يطلعون ، على هذا الوعي العالميّ ، صباحاً من الفكر ، إن اعوزته بعض فصاحة البيان او بلاغته ، على رأي الانسياقيين لجذوريّة اللفظ العربي والتعبير المضريّ ، فلا تعوزه مناهج الفن . هذا الفن الآخذ بالتصاعد حتى اوشك او يُحدث ردّةً الى الرُّواء في الادب والتعمّل في الاستطراف ؛ فأفسح مجالاً للقول : الفنّ للفنّ ! » فدخلنا منه في جدل بين هذا القول والقول الآخر : « الفن للمجتمع والحياة » .

ولئن كانت الإلماعة الى هذه « الردة » فيها شيء من العودة الى ما تقدم ذكره ، فما ذلك إلا لأن طواعية الموضوع تنثني لتتناول خطر الانسياق التوجيهي في تدريس الأدب العربي ، وما فيه من التقصير عن مجاراة مواكب الحضارة .

في هذه الآونة التي نحياها نرانا بحاجة ملحة الى الحيطة قبل التحفز ، والى الحذر قبل الوثبة ، وفي جماع من القول الى ضرورة بناء الشخصية قبل تيسير المواد الحرفية ...

في هذه الآونة بالذات يقف بعض الموكل اليهم تنشيء الجيل الطالع وقفة المنساق ، ان لم نقل وقفة المرتد. هذا البعض يحمّل طلابه وقر الحرف العربي كمومياء ، ويرغمه على حشو ذاكرته

* راجع العدد السابق من الاديب (فبراير) .

بتحجّرات تُحدث له سوء الهضم في « معدة الفهم » ، كما يحدث لمتخم الطعام ، وقد آذاه النهم ... هذا البعض المربّي يسمي نفسه «محافظاً» على تدريس المنهج الرسمي والاكتفاء بالمقرر المعنيّ!!

ولئن كان المنهج الرسميّ قد اراد ، حفاظاً منه على اطلاع الطالب على قرائن التعبير الموضوع والكلام المأثور المسموع ، فانه لم يعنِ ذلك الا لتسهيل فهم مهمّة البيان العربي في تأدية المعاني مستندةً الى مناشئها. ولكنه لم يقيّد المؤلّف ، في البيان مثلًا ، بالعودة الى « جبان الكلب مهزول الفصيل » لمجازية التعبير عن الكرم ، ونحن في عصر الكهرباء والذرة وعجائب الاختراع والابداع. ولكنه ايضاً ، لم يحجز النصوص المختارة في ما يحد من ذوق الطالب وتلجئُه الى الانسياق بدلاً من دفعه الى الانعتاق.

ولئن كان المنهج الرسمي قد سمّى ادباء من كل عصر فانه لم يعنِ ان تكون ، في مجال التأليف ، محدودة المنتقيات يتناقلها جامع عن جامع ، توفيراً لمشقة الخوض في رحيب الانتاج العربي ومجلداته العتيقة ، التي عفى عليها الاغفال والاهمال فلا تمدّ اليها غير ايدي القلة من المنقبين الباحثين .

أعرف مربّين نعموا بتحصيل جامعي وألقـاب جامعية جعلوا منها سياج كسل بعد اجتهاد وترساً للانكماش والارتداد، فبخلوا بالعطاء بعد الاخــذ ، او بدوا كأنهم في مؤامرة على التراث الادبي العربي الذي اتصل بنا ... ! هذا التراث الذي اقرّ بقدره الدخــلاء والاجانب فسبقونا الى تأسيس فروع جامعية لتدريسه ومنح الالقاب لسابري غوره وقادري قيمته.

نحن في هذه المهمة المتناولة تدريس الادب العربي بحاجة الى الاساليب الحديثة ، وربما الى الالقاب الجامعية ... ولكننا في حاجة اشد الى توفر ثلاث مزايا في مدرّس الادب :

الانعتاق والامانة والذوق

اما الانعتاق فقد جعلناه « بوصلة » الموضوع واردنا به الاخذ بالمناهج الحديثة لتنمية الشخصية على حبّ التوليد ، بعد عناء الاقتباس ؛ واردنا به ، فوق ذلك ، استكشاف المواهب آفاقها الخاصة ، اضيقةً كانت ام رحيبة ، في نهجٍ لا يتصل بدرس الادب إلا اتصالاً مروّضاً على اساليب التعبير ، دون التقيُّد بذهنية النصّ المختار والارتباط بمراميه ؛ فبين تلك المرامي ما لو أخذناه ، على علاّته ، ما هو عريٌ من الاخلاق او نيرٌ من أنيار الانسياق .

واما الامانة مهمة المعلم الكبرى ودرعه المنيعة فهي قائمة في الحرص على التغذية بالاصحّ الاملح في استنسابٍ واستيفاء مقرونين بسخاء العطاء. وهل يُؤتمن انسان على اعزّ من انسان ؟!

واذا كنا لا نقــدر هذه الامانة حقّ قدرها كسلًا او استهانةً او قصدَ التواءٍ معنيٍّ فنحن ، المعلمين ، في مهمتنا مجرمون ، ليس في العقوبات التي يعرفها القانون البشريّ عقوبة تستطيع ان تستوفي القصاص عن هذه الخيانة ؛ خيانة الناشيء في نفسه وغده ووطنه ...!

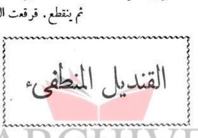
ومن كلف نفسه ان يجعلها رقيباً على امانة المعلم انكشفت له قدسية هذه المهمة ، في روعة وجلالة ، لا يدركها الناس عامة لكثرة ما علق بلقب معلم ، من ضروب الابتذال والتفريط. ومن علّم دون ان يُحِسّ ، في قرارة ذاته ، بدعوة مهيبة به للعطـــاء والكفر بالذات ، في سبيل امانة العمل ، فهو مرتزق يغمس لقمته في دم مجتمعٍ ينتحر . وان كان لنا من محذور عظيم الخطر بادي الاثر فهو ما نلمسه من تهافت الى التعليم وسيلة رزق ؛ ورزقٍ شحيح وحسب .

واما الذوق زينة ما يهبه الله للناس وفريدة الخليقة العــاقلة فهو المتكأ الذي يستند اليه الطالعون على دنيا الجمال والمريدون وسائل الاستطراف والتحلي ، آخذين عن مسؤولينٍ ، عُهد الى ضمائرهم قبل علمهم ، والى ذوقهم قبــل طوقهم ، استنباتُ الاذواق وتشذيبها وتنميتها . فالذوق ، على مائدة الفهم ، يثير القابلية ويفتح الشهية ، وفقدانه يدعو الى الاشمئزاز والتقزز ؛ وحسن الاختيـار في القراءات والمطالعات سببٌ رئيسيٌّ في تحبيب اللغة اصلًا وفي التشويق الى بيانها فرعاً . وعندي انّ معضلة الذوق هي معضلة أم تولد الحسنات او تنتج السيئات ؛ ومسؤولية المعلم العربي ، في هــذا القصد خطيرة ؛ فان توفر لمدرّس اللغة الاجنبية ان يغمر مائدتها بالمشوّقات من اصناف الفكر والوان التعبير ولم يتوفر مثل ذلك لزميله مدرّس العربية تحوّل المدعوون وانصرف المقبلون الى المــائدة الاجنبية ؛ وفي مثل هذه الحال قد يكون العامل الخفيّ فقدان الامانة .

لذلك نرى أننا لا ننشيء جيـلًا جديراً باحتلال منزلة ذات شأن ، في هذه الزحمة الهائلة من التسابق العالمي وهذا الصراع القاسي ، الذي لا رحمة في شرعــه للضعيف ، ان لم يتوفر على تربية ناشئتنا معلمون منعتقون من كل قيد ، متصفون بقدسية الامانة ، متحلون بمستطرف الذوق .

نسيم نصر

قصة



لم تتحرك الستارة السوداء ، ولم يزل القسم الآخر من الكوخ هادئاً . كان الهواء عاصفاً في الخارج وقطرات المطر تضرب سقف الحصير ، لكن السكون بقي خانقا كل شيء في الكوخ الرطب . سمعهما يتكلمان منذ ساعة طويلة ، أمه وأباه ؛ فواتاه شعور مؤلم خفي بان الأمر سيقع بعد قليل . كان جالساً على السرير ، يحيط رجليه المثنيتين بذراعين ترتجفان بين حين وحين . قرقعت السماء فوقه ، فرفع نظره الى الأعلى . رأى القنديل الصغير يرسل وهجاً أحمر ملتوياً والدخان يندفع منه الى سقف الزاوية . منذ خمس ليال وامه تملأ القنديل نفطاً وتشعله بعد غروب الشمس . ويلبث هكذا في زاويته العالية حتى ينطفىء اثناء الليل . رآه ينطفىء اربع مرات . ترتعش الفتيلة قليلاً ثم تخبو وتترك شعلتها تبعث دخاناً ابيض كثيفاً . وسيراه ينطفىء هذه الليلة ايضاً .

سهرت هيلة معه ثلاث ليال متوالية ولم تقاوم اخيراً . لعلها شعرت ان شيئاً غامضا يمنع عريسها عن اتمام عمل الرجل العظيم . كانت شاحبة الوجه واللحاف الأرجواني يغطيها الى رقبتها . لم يكلمها قط خلال هذه الليالي؛ كانت امامه سراً مزعجا يملأ قلبه رهبة . سمع امه تقول ان عمرهـا ثلاثة عشر عاماً . كانت تحدث اباه . سمعهما يتحدثان منذ ساعة . أحس برجفة في ذراعيـه . خيل اليه انه يرى الستارة السوداء تتحرك . كان القنديل يصبغها بحمرة ضوئه وثنياتها تتموج تحت عينيـــه.. حاولت امه بصوتها المخنوق ان تمنـع اباه مما تهجسه منه « جاالنجوز من الشرف يا بوبار ؟ » وكان جبار ايضاً يتهجس من ابيـه امراً كريهاً . سمعه يجيبها « ولج ياخايبة البين ما ردناها ألي ؟ ماورحنا خطبناها ؟ » فصرخت امه، صرخة مبحوحة « وما نطوكياها . تناوشت قريشاتي تشتري بيهن مرية . ومانطوكياها يا بوبار . مش آني مرتك ؟ » كان جبار مضطجعاً آنذاك في فراشه فقعد منصتاً . وصلت أذنه غمغمة ابيه تختلط مع الرعد ولم يفهم مـا قاله لها . كانت الريح تهدر كالماء الجاري العنيف والسماء تقصف . ساد بين ابويه صمت مميت ، قوّى في نفسه الشعور المبهم بما قد يقع . هل سينهي ابوه ، هذه الليلة ، ما يختبىء وراء عيونه الضيقة اللامعة ؟ لم يكلمه منذ جاءت هيلة الى كوخهم . أخـذ ينظر اليه من وراء طيات وجهه الأسمر النحيل . كان طويلا جداً يرجف بهيئته قلب جبار . لو دخل الآن لاضطر ان يحني رأسه . ولكنه .. هـل سيدخل ؟ هل سيدخل عليهما ؟ انتبه فجأة الى القنديل يرتجف بعنف في زاويته العالية . بقي يتأمله . كانت انفاس هيلة منتظمة عميقة ، وكان يسمعها رغم نقرات المطر وهدير الريح . ثلاثة عشر عاماً ! ماذا يعمل بهذه الطفلة ، ان لم يردها . ذهب ابوه يخطبها لنفسه فرفضوه فاخذها لجبار ابنه . كانت نائمة ، مغلقة العينين ووجهها اسمر في صفرة شديدة . كم تبدو ضئيلة ، وهي لا تصغره بغير عامين . وقع شيء مـا في القسم الآخر ؛ فتصلبت اعضاؤه ، والتفت بسرعة الى الستارة السوداء . كانت ساكنة متموجة الثنيات . سمع وقع اقدام خفيفة يستمر فترة ثم ينقطع . قرقعت السماء بشدة وتدحرجت الصاعقة ثم انفجرت بصوت رهيب . كانت الريح تهـــدر وتهدر . لو حـــدث شيء فظيع لما سمع احد به في هـذه الليلة الهائجـــة . واخترقت جسد جبار ارتعاشة فضم ركبتيه الى صدره . هل سيقتله ؟ عادت الاقدام تطأ الارض بخفوت . كأن شخصاً يسير حافياً كاللص . كان قلبه يخفق بسرعة وعمق ، وانفاسه تتقطع كلما ارهف سمعه . لا طريق للهزيمة . ولكن ما سيحدث ؟ أمن المعقول ان يقدم ابوه على .. آه ، ها هي الستارة السوداء تتحرك . باغتته موجة متصلة من الارتجاف ، فضغط بشدة على قصبة رجليه . أحس بمكانته تكاد تنفجر . هل سيقتله ؟

كانت شعلة القنديـــل تتلوى الى جانبه ، وثنيات الستارة السوداء تتماوج امام عينيه الثابتتين ،ازاح الستار قليلاً من زاويته اليسرى ؛ هل سيقتله ؟ وبرز وجه اصفر قاتم الصفرة . كان وجه ابيه بطياته العميقة ولم يكن وجـه انسان حي . كانت عيناه صغيرتين تلمعان بصورة هائلة . لقد جاء ليقضي عليه . بقي ساكنا يحدق في عيني جبار . احس بنظراتـه مسامير تثقب رأسه . ثم اختفى فجأة كالشبح ، وعادت الستارة السوداء تتماوج امام جبار . اراد ان يصرخ ليوقظ امه، ليوقظ الجيران ، ليوقظ العالم ، وتأوه . تقلبت هيلة على جنبها الأيمن . كانت اطراف

شعرها تبين حمراء من تحت الجنابة . اول امس صبغت شعرها بالحناء ، هي وامه واخته . سمـع طقطقة في الخارج . كانت نقرات المطر مستمرة متتابعة على الحصير ، لكنه ميز بوضوح طقطقة في الخارج . لا بـد ان الهواء اوقع شيئاً . ام لعله هو يفتش عما يحطم به رأس جبار ؟ أحس بفمه وحلقومـه يابسين . حاول ان يبلع ريقه فلم يستطع . جرعـة ماء واحدة قد ترد له الحياة . أدار عينيه حوله .

كانت جدران الحجرة الطينية سوداءمتعكرة وتحت القنديل ظلام دامس . رأى مكاناً في السقف يسيل منه المـاء ببطء . الأرض قربه عارية وصندوق هيلة الحديدي مفتوح الباب كفم الوحش . لا حركة هنـاك . هل عاد الى فراشه ؟ شعر بألم في معدته ؛ كأن أحـداً يخزها بدبابيس جارحة . لم يتعش الليلة . لبث يتفرج عليهم يأكلون ، تحت ضوء اللمبة ، الفضلات التي ارسلها الجيران ، دون ان يدفعه الجوع الى مشاركتهم. لم تعد به رغبة لطعام والليل قادم . ومن العبث ان يفتش الآن في الكوخ عن شيء يأكله . لا طعام يبيت حتى الصباح التالي . أمسك باحشائه ودفعها بقوة . كانت أمه تشد وسطه بخرقة كلما اراد طعاماً لا يوجد . تشده شداً عنيفاً ينشر الراحة في جسمه. تعبت رجلاه فعاد الى احاطتهما بذراعيه .نظر الى الستارة السوداء، ترى اين ذهب ؟ كانت انفاس هيلة خفيفة لا تسمع ، وصفحة وجهها واذنها تبدوان ناعمتين . وكانت شعلة القنديل ساكنة مرتفعة كالمنارة المضيئة . سينطفىء القنديل بعد ساعات طويلة . أحس بأجفانه تثقل وهو ينظر الى القنديل . كم هو متعب مجهد لهذا السهر الذي لا يعلم سببه ! وراسه يرن ويهدر مع صوت الريح . آه ، أهي الريح التي عبثت بالمنارة المضيئة، تلوت الشعلة فجأة وتضاءلت ، هل ستنطفىء ؟ ثم شعر بهواء بارد يمس وجهه. كانت الستارة السوداء منكشفة وانسان طويل طويل يقف امامه . رفع نظره سريعاً ، ماذا سيعمل به ؟ رباه ، هل سيقتله؟ « شو جاعد مال الجلب ؟ » احس بقلبه يسد اذنيه بدقاته . كان صوت هـذا الانسان غريباً لم يسمعه من قبل . هو ليس اباه . كلا ، ليس اباه . وكان يحمل عصا غليظة طويلة في يده اليمنى وعيناه تلمعـان كالبرق . اراد ان يكلمه ، ان يتوسل تحت قدميه ؛ فلم يسعفه لسانه الميت . ورأى العصا ترتفع عالياً ، إنه يستعملهـا لطرد الكلاب ؛ ثم رآهـا تهبط وهي تشق الهواء بسكون .

انفجر رأسه كانفجار الصاعقة وعميت عينـاه . أحس ، بعد لحظة ، بجسمه يتكوم قرب الصندوق الحديدي ، على الارض العارية الرطبة . لم يضربه غير مرة واحدة ، بالعصا التي يطرد بها الكلاب . هو ايضاً مثل تلك الكلاب السائبة. كلب مجذوم قذر صغير حقير. يرفسونه بالحذاء ليأخذوا قطعة العظم التي لا يريدها. كان رأسه كالدملة الكبيرة ، الكبيرة ، يؤلمه من كل جهاته ؛ وذراعه تحت ظهره مطروحة على الارض المشبعة بالمـاء . ماذا يجري هناك ،في ذلك الكهف المظلم ؟ شعر كأنه في عالم آخر ؛ عينـاه مغمضتان واذناه لا تسمعان شيئاً . هل انطفأ القنـديل يا ترى ؟ كانت ذراعه تؤلمـه وتبعث برداً لاذعاً في كل انحاء جسمه . بذل جهداً كبيراً ليسحبها من تحته ؛ ثم شعر باصابعه المثلجة تمر على وجهـه . بدأت بعينيه تفركهما ثم ارتفعت الى جبينه . كانت اصابعه باردة عليها قليل من الطين. ادخل اصبعاً في اذنه وحركـه وهو فيها . طنت اذنـه ، ومرَّ بها هدير ثم سكن. خيل اليه انه يسمع حركة عنيفة على مقربة منه . سيعاود ضربه . سيقضي عليه هذه المرة . جمع قواه وقلص اعضاء جسمه جميعها فأحس بنفسه قاعداً على الارض . فرك عينيه بجنون ثم فتحهما . كان القنـــديل يضيء بشعلته الحمراء فراشهما . رآهما كالثياب المختلطة ، كان فوقها وكانت هيـــلة في انهيار قواها الاخير تنتزع صرخات قصيرة خافتة من فمهـا المغلق بوحشية . كان منظرهما كابوساً مروعاً .السرير يهتز بشدة ويبعث اصواتاً تختلط بهمهمة غريبة لم يعرف مصدرها. شعر برعب هائل يجتاحه فجأة . اراد ان يصرخ وكان جسمه يرتجف ورأسه يدور . لم يدرك شيئاً سوى شناعة مـا يجري تحت بصره . سيقتلهـــا ، سيمزقها قطعاً . ثنى رجليه بسرعة ثم قـام فارتمى بظهره على الحائط. كان الرعب يعصر قلبه ؛ وشعر حال اعتداله بماء دافىء يبلل فخذيه . لم يستطع ان يحول عينيه عنها ؛ كان القنديل يرسل ضوءاً احمر كالدم المتجمد ، والثيـاب تتحرك بسرعة ثم تهمد لحظة وتعود الى حركتها المخبولة . رأى، بين اضطراب الملابس العنيف وصرخات هيلة وغمغمة الوحش ، ساقاً عارية ترتفع كالجثة المسلوخة في الهواء ، ثم تلتها صرخة حيوانية عالية. كان الحائط وراءه بارداً متعكراً ، والمطر ينقر سقف الحصير؛ حاول ان يصرخ ، وكانت الريح تهدر وتهدر من بعيد .

بغداد — فؤاد التكرلي

نحن والرعاع

✳

لثريا ملحس

✳

. . . .

وفقأنا العيون

من اعماق الصخور

مزّقنا الصخور

رمينا الاشلاء عنّا

نضحك . . نغنّي

نبـكي . . نثور

ركلنا في دربنا العبيد

كسّرنا في يدنا الحديد

★

مددنا يدنا إلى الله

يا الله . . يا الله

مزّقنا يدنا

نغلّها إلى صدرنا

تبّاً . . تبّاً للمجانين

رحنا في اعماق الليالي

نبحث عن روح امثالنا

عدنا مكبّلين . . مكبّلين

صرخنا بالفضاء

بالروح . . بالوجود

هزّ الكون صوتنا

مشى يحطّم الطبول

. . . .

. . . .

والرعاع دون عيون

والدياجـــير تزع كالعفاريت

والسياط تدور . . تدور

على اكتافهم العارية

على رؤوسهم الجوفاء

تدور الطواحين

★

نهرب من جيف التراب

نعود بالمعاول . . بالفؤوس

نحفر القبور

ندقّها بأقدامنا

نبني عليها قصورنا

قصور المتمرّدين

من وحينا . . من عقولنا

من قلوبنا ندقّ المسامير

الى ربـوتي ...

*

وقالت لي الربوة الحالمـه : على قمـتي بعضُ طيبِ النبي
وتسألني في الدجى عن سناه أما تبصرُ النورَ يلتفُّ بي
وكرّت عصورٌ على وحدتي وما زلتُ مخضـلةَ الملعبِ
جبيني التفـاتٌ الى طيفـه وقلبي انتفاضات وجدٍ صبي
أتسألني ؟... أين مرُّ النـبيُّ وأين خطاه صدى المطلب ؟...
حواليك مهوى صبـاه البتول ومرقى الأعـزةِ من يعربِ
ففي كل دربٍ ظـلالٌ له تظـل على الدهرِ في موكبِ
وهـذا الفضاء تسابيحُ تعلو صـلاةً من البـلد الطيبِ
فقلت لها : بانشيد الخـلود فديتـك بالخافق الصيّب
امرّغُ جفني على التربِ منكِ وانهـارُ في بوحكِ المخصبِ
وهذا الغمامُ المـدلُّ الغنوج رؤى اللحنِ في النغم المطربِ
غدي جبلُ النورِ* أسعى اليه فاني ظمئتُ ولم اشـربِ
سأنهـلُ من فيضه زادَ عمـري من الخـيرِ والأملِ المعشب

صلاح الاسير

---

* جبل في مكة يعلوه غار حراء حيث هبط الوحي الاول على نبي العرب محمد .

لمحة في تاريخ الاقصوصة الايطالية

بقلم مصطفى آل عيال

ليسانس في الاداب وعلم التربية والنفس

✳

توطئة

لن اذهب* بعيداً في هذه اللمحة التاريخية . ولن انقب عميقاً في صفحات التاريخ المطوية ، لاستخراج ما لم يستخرجه احد ، او ما لم يوفق احد الى العثور عليه .

انما اردت من هذه اللمحة تزجية ساعة من الزمن ، اتحدث الى حضرتكم حديثاً ربما كان فيه بعض التسلية او بعض الفائدة .

سأتعرض لتاريخ الاقصوصة الايطالية دون غيرها . واعرض امام ابصاركم الكريمة شريطاً اشبه ما يكون بشريط سينمائي تشاهدون عليه ابرز القصاصين الايطاليين واشهر مؤلفاتهم .

نشوء النثر الايطالي

لا بد لنا الان قبل الخوض في موضوعنا ، من كلمة وجيزة عن نشوء النثر الايطالي في تلك الاعصر البعيدة التي شهدت مولد الاقصوصة .

بدأ النثر بالظهور في القرن الثالث عشر . وكذلك الشعر طفق يثبت وجوده في القرن ذاته ، ولكن بخطى سريعة ووثبات واسعة طويلة .

ولقد آثر النثر العافية التي كانت ضنينة عليه بالصحة ، فابطأ الخطى وتخلف عن موكب الشعر . واتكأ في إبان طفولته على ما كان يترجمه ويقتبسه عن النثر في اللغة اللاتينية — هذه اللغة التي بقيت سنين عديدة لغة العلوم والمعرفة — ، وعن اللغة الفرنسية الشاسعة في تلك الايام والمعدودة من « اطرف اللغات للمطالعة واخفها على السمع » .

ولقد تناول النثر الايطالي الاقصوصة والتاريخ والتربية والاخلاق والتعليم الديني .

والاقصوصة على وجه الاجمال ، هي من الموضوعات المستحبة الى قلوب الجميع ؛ يقبل عليها الصغار والكبار ، وذوو الثقافة والجهال . وذلك لاسباب لا تخفى على احد . منها حب الاستطلاع الذي يتمخض به الانسان ، او تعلّم شيء مفيد ، او للاتعاظ واحياناً كثيرة للتسلية البريئة . ولا اظن ابانا آدم كان يضنّ على حوائه ، وهي مقيمة في جنتها الفيحاء ، ببعض الاقاصيص التي كان يختلقها تزجية للوقت . فلا بأس علينا اذاً نحن ابناء وحفدة ذينك المخلوقين إن رغبنا في الاقصوصة والتحدث عنها والاستماع اليها والاستمتاع بالمزيد منها .

اتصالات واحتكاك وفضل الشرق

كانت الاتصالات الاولى بين الشرق والغرب عن طريق الحروب الصليبية التي استفادت اكثر مما افادت . وعلى ايدي تجار الجمهوريات الايطالية البحرية كجمهورية البندقية ، وجنوى وبيزه واملفي وغيرها .

كان يرجع هؤلاء القوم من سفرهم وجعبهم تطفح باقاصيص متنوعة عن الشرق منها الحقيقي ومنها الملفق لغاية في نفس يعقوب

اقول ملفقة ، لانه عندما عاد ماركو بولو Marco Polo من رحلته الشاقة الشهيرة في آسيا وقد بلغ عاصمة الصين ، املى ، وهو في السجن ، وذلك عام ١٢٩٨ ، على احد زملائه ما شاهده وسمعه اثناء تجواله . وخرج من ذلك كله بكتاب ضخم سمّي « المليون » والمقصود بهذه التسمية مليون تلفيقة او كذبة على ذمة القوم .

---

* القيت هذه المحاضرة في المعهد الثقافي الايطالي ببيروت .

وعلى كل فان هـذه الاكاذيب والتلفيقات كان يتهافت الناس الى سماعها ويستمتعون بها كل الاستمتاع .

وتُرجمتْ اكثر الاقاصيص المشهورة في آسيا عامة وفي الشرق العربي خاصةً. ولم يبق احد إلا وتندر بقصص الف ليلة وليلة وما جاء فيها من الاقاصيص البديعة التي خلبت لب القوم. واشتهرت عندهم السلطانة شهرزاد والخليفة هارون الرشيد ورحلات السندباد البحري وعـلاء الدين والمصباح السحري وغير ذلك كثير .

واشتهرت عن الهند مجموعة من الاقاصيص كُتبت باللغة السنسكريتية بعنوان : « سوقسبتاتي Sukasaptati » ومجموعة اخرى من الاقاصيص عن لسان الحيوان وغيرها بعنوان : « بنشاتنتره Panciatantra » .

وقد شاعت هـذه الاقاصيص وغيرها بين افراد الشعب الايطالي . يتندر بها الجميع ويحلُو لهم الاستماع اليهـا مراراً وتكراراً .

في الغرب

اما في الغرب فقـد استعان الكهان ، وهم يعظون في الكنائس ايام الاعياد الكبرى، بالقصص ليلفتوا انتباه مستمعيهم وليسهلوا عليهم فهم ما يعظونهم به .

وكان الاقطاعيون في قصورهم العامرة ، او في حصونهم المنيعة ، لا تخلو لياليهم من السمر بالاقاصيص والغناء وغيرها .

واما السابلة والذين كانوا يتنقلون من بلد الى آخر، واولئك الذين يستريحون في الخانات على قارعة الطريق ، والحجاج الذين كانوا يقصدون روما لامور دينية ، سيراً عـلى الاقدام ، فلم يكن همهم جميعاً غير تزجية الوقت والتسلية بقص مـا كانت تسعفهم به الذاكرة والخيال من الاقاصيص فكان منها المختلق ومنها المترجم ومنها ذات الطابع التاريخي ، ومنهـا المقتبس والمستنبط . ومنها ما هو ابن ساعته ووليد الخيال . ومنهـا غير ذلك كثير .

لقد عمّ كل هذا وانتشر . وكثرت الاقاصيص وتنوعت . ولم نَعْدم من اهتمّ بامرها وبدأ بجمعها او يؤلف فيهـا او يترجها ...

القرن الثالث عشر

وهكذا فقـد طلع علينا القرن الثالث عشر بمجموعتين من اشهر اقاصيصه . دُعيت الاولى : « كتاب الحكماء السبعة Il libro dei sette Savi » . والثانية : « النوفللينو Novellino » او المائة الاقصوصة القديمة. ولم يُعْرف مؤلفا هاتين المجموعتين.

ففي« كتاب الحكماء السبعة» خمس عشرة قصة تحوي الواحدة منها عدة اقاصيص كما هي الحال في كتاب ألف ليلة وليلة .

أما في المجموعة الثانية « النوفللينو » فكل قصة تؤلف وحدة قائمة بذاتها منتظمة كحبّات العقد . انها بسيطة الحبكة . بعيدة المصدر . اشبه بلقاح الزهر تحمله الرياح الى بلد لم يكن ببالغه . وقد تناولت اشخاصاً قدماء كالاسكندر المقدوني ويوليوس قيصر واشباههما . اقاصيص عن الفرسان كالملك آرثر . واخبار عن شخصيات مشهورة في تلك الحقبة كالامبراطور فريدريك الثاني وصلاح الدين الايوبي الشهير وغيرهما .

انها حكايات قصيرة اشبه بالعظة. والطويلة منها قليلة جداً. كُتبت ورائدها تعليم الاشرار من الناس شيئاً جميلاً خيراً بلغة بسيطة يفهمها العوام بسهولة .

ثم هناك مجموعة ثالثة دُعيت «الحكايات» ورابعة « الازهار» وكلها تحوي في طياتها بعض المغازي . حكايات عن الفرسان في قديم الزمان زهرة الفضيلة والمروءة .

بهذه المجموعات كلهـا وبكثير غيرها نبدأ مـا نسميه « الاقصوصة الايطالية » التي كان ظهورها في القرن الثالث عشر كما سبق .

القرن الرابع عشر

كان القرن الرابع عشر يموج بالاحداث الجسام . انه عصر دانتي أليغياري Dante Alighieri الشاعر الملهم الخالد . انه ربيع الامة الايطالية . ولم تكن ازهار هذا الربيع كلهـا زاهية مفرحة . تخلل الفرح حزنٌ والضحك بكاءٌ . وثمة اعمال عليها طابع الجد . واخرى مخزية تترك في النفس غصة .

كان هذا العصر ينبض بالحياة ؛ فازدهرت الفنون ، وكثر الشعر وخلق من التراث ما يكفي اي شعب آخر مؤونة عشر سنوات .

ولقد شابَ هذا العصر الحزن والسرور معا . وهذان للاقصوصة كالمطر والشمس للقمح . حسبنا من ابناء هذا القرن يوحنا بوكتشو Giovanni Boccaccio وكتابه « الداكمرون Decamerone » .

كان بوكتشو صديقاً حميماً لدانتي شاعر الطليان الجلي . وللبترورك Petrarca شاعر الحب المتيم . لا نذكر احدَهم الا ونذكر الآخرين معه . انهم ثالوث هذا القرن ، وتيجانه الثلاثة ومجده . ومع ذلك فشتان ما بين تآليف الواحد والآخر .

انهم اشبه بثلاث من القلَل تتفاوت علواً ، ولكن اياً اخترت للصعود اليها فستشرف على الكون وما فيه وتتطلع الى مناظر ثلاثة مختلفة .

يرينا يوحنا بوكتشو في كتابه دنيا آهلة بالرجال والنساء يتحركون ويسرحون ويمرحون كالاحياء . يرينا فيهم الخيرين والاشرار ذوي الفضيلة وذوي الرذيلة . الوادعين والثائرين المعلمين والجهّل . ملوكاً ذوي تيجان واشقياء صعاليك هَمُّهم السلب والنهب . ونساء صالحات عاقلات وأخريات طالحات فاجرات .

هذه كلها مخاليق البوكتشو . هي كغيرها من مخلوقات العالم الحقيقي تفعل الخير وتقترف الشر . تحب وتكره حتى الموت . تحترم بعضها وتسخر بكل ما حولها . تتألم وتتلذذ .

وقد جمعها كتاب « الداكمرون » ومعناه باليونانية عشرة ايام . في كل يوم كانت تُقص عشر اقاصيص فيكون المجموع منها في هذا الكتاب مائة اقصوصة . منها الطويلة ومنها المتوسطة والقصيرة . منها المضحك والمبكي . ومنها ما هو مدعاة للنفور والاشمئزاز . ومنها ما يؤثر في النفس حتى تفيض العين بدمعها ...

في هذا الكتاب ما هب ودب . فيه الحقيقة عارية ، حقيقة الناس بقدهم وقديدهم وعجرهم وبجرهم .

وابطال هذا الكتاب سبع نساء شابات وثلاثة رجال . وقد التقوا جميعهم في كنيسة « ماريا نوفللا Maria Novella » .

وكانوا اصدقاء واهلا ، فاتفقوا وعقدوا النية على مغادرة المدينة هرباً من وباء الطاعون الذي اصابها . واتخذوا لهم نزلاً توفرت فيه وسائل الراحة ، تحيط به جنائن الورود والازاهر .

واتفقوا ان يقص كل واحد وواحدة منهم اقصوصة ظريفة . فكانوا والحالة هذه يقصون كل يوم عشر اقصوصات ما عدا يوم الجمعة . ويقيمون عليهم في كل يوم ملكاً او ملكةً ليدير او تدير دفة الامور .

كان كل فرد يقص على رفاقه ما اتفق له في حياته . وهكذا دواليك الى ان تمت مائة اقصوصة . فادعى البوكنشو جمعها بعد ان كان هو الذي ابتدعها وألفها .

ان « الداكمرون » عالَم قائم بذاته . اضفى البوكتشو على كل رجل وامرأة فيه من قوة الفن والحيوية ما يبقيهما في الذاكرة بعد ان نلتقي بها ولو مرة واحدة .

ولقد تخطفت الايدي هذا الكتاب . وقلده كثير من الكاتبين الذين جاءوا بعد البوكتشو فحذوا حذوه وليتهم لم يفعلوا لانهم نكبوا الادب الايطالي بما كتبوه .

★

ولقد اتحفنا القرن الرابع عشر بقاص آخر هو فرنكوسكتي Franco Sacchetti . كان اخا اسفار فشاهد كثيراً وخالط الكثيرين وكلمهم . فاجتمع له من المواد ما دفعه الى تأليف ثلاثمئة اقصوصة لم يبق منها غير مائتين وثمانٍ وعشرين . تمتاز بقصرها والروح المرحة السائدة في جميعها . وهي بعيدة كل البعد عن منهج اقاصيص البوكنشو والحمد لله .

كانت هذه الاقاصيص آهلة بشتى انواع الناس ، احياء غير اموات . يجد فرنكو سكتي متعة في ان يحدثنا عن احوالهم الشخصية ومغامراتهم الواقعية . يبتعد عن الخلط والمبالغة . يريد ان يُدخِل السرور والانشراح الى قلوب مستمعيه او قارئيه . يريدهم ان يتعلموا ولو شيئاً يسيراً خيّراً منها .

ويلوح لنا السكتي من وراء اقاصيصه صحيح البنية ، مرحاً شريف المقاصد . يريد ان يعمل الخير على قدر ما يستطيع .

الى غاية اليوم ونحن نقبل على قراءة اقاصيصه برغبة طيبة ولذة كبرى .

ونذكر من القصاصين في هذا القرن ايضاً سر يوحنا فيورنتينو Ser Giovanni Fiorentino ، وقد جمع خمسين اقصوصة في كتاب دعاه « Il Pecorone » ومعناه « الكبش » . يقصها راهب وراهبة في بهو احد الاديرة . وهي لا تخلو من بعض

ومضأت فيها شيء من الظرف . ولكنها بوجه الاجمال باهتة لا طعم لها . انها كالحساء المصنوع من الماء القذر ذُرّت فوقها ما تحمله الرياح في هبوبها من الافاويه ...

★

وألّف سرفرنتشسكو دا بربارينو Ser Francesco de Barberino مجموعة من الاقاصيص الصغيرة باسلوب غاية في البساطة وسلامة النية ، وقد خلط النثر بالشعر ، ودعاها « تقويم المرأة وعاداتها » « Del Reggimento e costumi di Donna » فيه يعلّم اشياء كثيرة وجميلة تهم السيدات المصونات . ويذكر الامثلة على ذلك ليزين بها نصائحه .

وقد ظهرت هذه المجموعة قبل كتاب « الداكمرون » .

★

وجاء بعده راهب يدعى بسافنتي Passavanti . واقاصيصه تعتمد الوعظ . اتخذها لهذه الغاية في كنيسته . ثم جمعها في كتاب دعاه « مرآة التوبة الحقيقية « Lo specchio di vera Penitenza كان هذا الراهب محافظاً كل المحافظة على السيرة الحسنة والاخلاق الطيبة . يحدثنا في اقاصيصه هذه عن ابليس اللعين او الشيطان الرجيم وعن ظلمات الجحيم . انها تدخل الهلع الى قلوب الخاطئين . ومع هذا فهي ظريفة جداً . هي ضرب من الاوهام والخيال ولكنها محزنة ومؤثرة احياناً . والدين الذي تحدثك عنه ، دين شديد صارم ترتجف له الافئدة فتنفر ، ويداخلها منه صقيع مؤلم .

★

واجمل ما كُتب في هذا القرن « إي فيورتّي Y Fioretti » التي تَقُصُّ علينا حياة القديس فرنتشسكو دسيزي S. Francesco d'Assisi واعماله . انها للفؤاد دفء ، وللنفس حياة حلوة . فيها شيء كثير من السرور والارتياح .

احب القديس فرنتشسكو كل شيء : الانسان والطير والغنم والذئاب . احب الفقر والموت . وقد كتب «إي فيورتي» وقصها احد الرهبان الذين رافقوا القديس . حدثنا فيها عن اعماله ومعجزاته وصلواته . فكان لنا منها هذه المجموعة الجميلة الشبيهة بالاقاصيص المقدسة . حلوة كفجر الربيع ، طرية كالعشب الندي . وضاءة دون ان تبهر النظر . استوحت محاسنها من طبيعة الاومبريا Umbria الجذابة .

ظهرت « إي فيورتي » في اوائل القرن الرابع عشر اي قبل كتاب « الداكمرون » .

والآن حسب القرن الرابع عشر ما اتحفنا به من الحكايات والاقاصيص . ولو لم يعطنا غير «الداكمرون» للبوكتشو لكفى .

القرن الخامس عشر

وجاء القرن الخامس عشر ، عصر النهضة . حيث ازدهرت الدراسات والعلوم والفنون وغيرها من نتائج العقول النيرة .

اما القصص الجميل والاقصوصة المليحة فلم يكن لها نصيب كبير في هذا العصر . وسبب ذلك الرجوع الى اللاتينية بعد ان أهملت زمناً طويلاً . فكان حملة الاقلام والادباء لا يقرأون غير اللاتينية ولا يكتبون إلا بها . وكانت هي الزاد لدنياهم . وكادت تصبح الزاد لاخراهم .

ما اكثر الذين ألّفوا الاقاصيص باللاتينية . وجمعوا فيها كل ما سمعوه من افواه العامة دون تمحيص يذكر لطرح الغث منها والابقاء على السمين .

والغريب ان احد هؤلاء الكاتبين آنا أسلفيو بكولوميني Enea Silvo Biccolomini كتب اقصوصة هو ايضاً باللاتينية وفيها ما فيها وقد صار فيما بعد بابا باسم بيوس الثاني .

وجمع بوجو برتشوليني Poggio Bracciolini وقد وُسِمَ بسعة العلم ، اقوالاً وحكايات وثرثرات وخزعبلات وتُرّهات كانت تتناقلها الافواه في بلاط روما حيث كان موظفاً . وهذا الكشكول العجيب الغريب كان مؤلفاً باللاتينية ايضاً .

واعقبه الكاتب يوحنا بونتانو Giovanni Pontano وبلغ شغفه باللاتينية ان وضع الاغاني التي ترنم بها الامهات لاطفالها بهذه اللغة .

ولم يعدم هذا العصر بعض الذين الفوا باللغة الايطالية بدلاً من اللاتينية . نذكر منهم ليونردو دافنشي Leonardo de Vinci ذاك العالم الشهير الذي لم يترك فرعاً من فروع المعرفة إلا وألمّ به وله فيه جولات موفقة .

وارسل كاتبٌ يدعى جنتيلي سرميني Gentili Sermini عام ١٤٢٤ اربعين اقصوصة الى صديق له كهدية تصحبها رقعة كتب عليها : « اهدي اليك هذه السلّة من الخضر المتنوعة الشهية » . ولو كنا مكان ذلك الصديق لاجبناه : « احتفظ

باقاصيصك هذه وارسل لنا بدلاً منها حفنة من خضرك »...

واشتهر ايضاً توماز و كورداتي سالرنيتانو Tommaso Guardati Salernitona بمجموعة من الاقاصيص بلغت الخمسين قصة . كان يبعث بكل واحدة منها الى احدى الشخصيات المعروفة. وكان يعوزها الصقل والتهذيب. فمنها المضحك ومنها المبكي . وقد شهّر في البعض منها ببعض الكهان والرهبان ممن دنسوا الثوب الذي يرتدون. ثم نوه بالنساء الخزينات وحمل عليهن حملة شعواء . كان مرآة لعصره . وكل ما كتبه هو من وحي بيئتــه الفاسدة كبيئة البوكتشو . ولذلك تقاربت اقاصيصهما وتشابهت .

القرن السادس عشر

كان هذا العصر عصر العظمــة والمجد في تاريخ ايطالية . عصر الجبروت . العصر الذي جاد علينا بشعراء افــذاذ مثل Tasso و Ariosto التسو واريوستو . وبكتاب اجتماعيــين وسياسيين حنكهم الدهر كالمكيفللي Macchiavelli . وبجمهرة من المثالين والنحـاتين والمصورين كميكلنجلو Michelangelo ورفائيل Raffaele وتيتسيانو Tiziano . اما في فن القصص فلم يجد علينا إلا بكل مقلدٍ للبوكتشو .

واشهر هؤلاء القصاصين المقــلدين اربعة : فيرنتسوولا Firenzuola ودوني Doni ولاسكا Lasca وبندللو Bandello. وكلهم لا يزالون احياء ، اي لا نزال نقرأ كتبهم حتى اليوم .

★

فالبندللو Bandello وهو المكثر من بينهم ، كتب نيفاً ومائتين اقصوصة . ولا ضير علينـا بان نلقبه ببوكتشو القرن السادس عشر . كان يهدي اقاصيصه الى الشخصيات البارزة فيتلقى جزاء على عمله رسائل الشكر والتشجيع والمديح . ولما كبر وشاخ ، جمع كل هذه الاقاصيص وارفق كل اقصوصة برسالتها ونشر الكل في كتاب ضخم . وكانت الرسالة احياناً اكثر اهميــة من الاقصوصة ذاتها . هو ايضاً خالط كثيراً من الناس وشاهد الكثيرين. فجاءت اقاصيصه مطابقة حقيقة الواقع ليس فيها شيء من الكلفة والتلفيق . وكان اسلوبه قلقاً فيه حيرة واضطراب. وكثيراً ما يداخل السأم قارئيه. ولا يعدم احياناً بعض الاقاصيص المسلية . وحسبنا منه ان اقصوصته « جوليتا وروماو Giulietta e Romeo » أوحت الى ولــيم شكسبير مأساته الشهيرة المؤثرة « روميو وجوليت » .

★

وكان اللاسكا Lasca ثالث الاثافي بعد البوكتشو والسكتي وهو يدعى انطون فرنتشسكو كرتسيني Anton Francesco Grazzini كان عطاراً حادّ الذكاء . واسع الثقافة . الف كتاباً من الاقاصيص دعاه « الغشاءات Le Cene ».ونسج على منوال البوكتشو . ولكنه كان كاتباً موهوباً ورجل فن . عباراته وجمله نسمات من ريشة الفنان الحاذق البارع . في كل نسمة خلجة من الحياة ...

★

ويأتي بعـده فرنتسوولا Firenzuola ، كاهن من فيرنته . هو ايضاً سار على خطى سلفه البوكتشو فأعطانا كتاباً دعاه : « التعقلات I Ragionamenti ». ثم قصة طويــلة دعاها : « الحمار الذهبي L'Asino d'Oro » وهي مقتبسة عن اللاتينيـة . وكتاب « اللباس الاول لاحاديث الحيوانات » . وهذا ايضاً مقتبس من الكتاب الهندي الذي سبق فذكرناه في اول حديثنا « بنتشاتنترا Panciatantra » .

كان الفرنتسوولا ذا لسان حاد صليت ذلق لاذع . واقاصيصه بين بين لا مبتكرة وليس فيهـا شيء من التسلية . ولكنها امتازت باسلوبها الزاهي ، هذا الاسلوب الذي ظهر به على جميع القصاصين الذين تقدموه . ومما لا نشاطره به كونه كاهناً ينحط الى هذا الدرك من الاقاصيص التي لا يمكن للمرء إلا ان يستنكرها ويخجل من مطالعتها . وهنا ايضاً نقول انه مرض العصر. واراد كاهننا ان يكون بعض لسان عصره فأجاد.

القرن السابع عشر والثامن عشر

وكادت معـالم الاقصوصة تطمس في القرنين السابع عشر والثامن عشر . وبعض المحـاولات التي تعترضنا في هذا الحقل هزيلة ، تطل علينا باسمال بالية . ارتدتها اشباح تترنح من فرط الضعف . واسباب هذا التقصير عديدة نضرب صفحاً عن ذكرها لئلا نخرج بهذه العجالة عن الغاية التي استهدفناها .

وعلى الرغم من كل هذا فقد وقعنا على بعض المحــاولات الطيبة لبعض الكتاب من العلمــاء الذين كان ما كتبوه ابعد شيء عما نسميه اقصوصة . ونذكر منهم اندرا كفلكنتي

من فيرنتسه Ondrea cavalcanti ويوحنا ساكرانو Giovanni Sagreto من البندقية . والخلاصة ان الاقصوصة في القرن السابع عشر لجديرة بان نرثي لحالها .

وما كان القرن الثامن عشر اوفر حظاً من زميله السابع عشر . ولولم يطلع علينا ذلك الرجل النبيل كسبره كوتزي Gaspare Gozzi بمرحه وخفة روحه بما لطف الجو قليلاً لسمّينا هذا القرن قرن موات . وعلى الرغم من مرور بضعة قرون فإن البوكتشو لا يزال قدوة في مثل هذا المضمار .

وربما كان لهذا العصر عذر في صدوفه عن الاقصوصة . كان مليئاً بالمشاكل والاعمال الجسام . ابرز ما فيه ثورة الفكر التي خلفتها الثورة الفرنسية الكبرى المدعية الحرية والمساواة والمؤاخاة .

واشهر القصاصين على الاطلاق في هذا القرن كسبره كوتزي آنف الذكر . اليه يعزى خلع نير التقليد الذي كان لا يزال يستعبد مواطنيه . انعم النظر الى الانسان والاشياء كما هي عارية . كان حديد البصر فيما ينعم فيه فيجيد الكتابة عنه . لا يبذل مجهوداً كبيراً وهو يكتب . بعيداً عن الكلفة والتصنع . في اسلوبه بساطة ووضوح . وفيه بعض الاهمال . ولكنه اهمال مستحب لدى القارىء . حسب كسبره كوتزي انه من القليلين الذين شهدوا ميلاد الاقصوصة الحديثة وساهموا في تنشيئها .

القرن التاسع عشر

وبرز في القصة في القرن التاسع عشر كاتب من اشهر الكاتبين ، اصبح فيما بعد القدوة الحسنة لكثير من الكتاب الايطاليين الذين باتوا لا يرضون عن اسلوبه بديلا . وسرعان ما اجتازت شهرته تخوم بلاده ، فكثر انصاره ومريدوه ومقلدوه في الداخل والخارج .

لقد ابتدع اسكندر المنزوني Alessandro Manzoni لنفسه مدرسة . فتأثرها الكتّاب الناشئون وغيرهم لانها كانت تمثل الفن الجيد . الفن الصحيح النابض بالعافية وقد غذّاه لبن الحقيقة الصرف . هذا هو الفن الانساني وقد حدده المنزوني نفسه : « هدفه المنفعة وموضوعه الحقيقة » .

عادت الحياة بطبيعتها . عادت الحياة الى فطرتها التي فطرها الله عليها . يؤججها شعر شديد التأثير على النفوس . ونثر يُقوّم ببراعة اسلوبه ما اعوج من الرؤوس . ويلطّف ما قسا من القلوب . ان المنزوني كان اباً لهذه الحركة المباركة التي اعطت ايطاليه اعاظم رجالها من حملة الاقلام وغيرهم .

واذا قُدِّر للقصة او الاقصوصة الحديثة ان تتخذ لها رائداً فمن العدل ان تختار المنزوني رائداً لها .

المذاهب

وانتشر بعد المنزوني مذهبان : المذهب الطبيعي والمذهب الواقعي . وكان لهما تأثير بيّن على بعض الكتاب الايطاليين القصصيين على الاخص امثال يوحنا فركا Giovanni Verga ولويدجي كبوانه Luidgi Capuana .

ثم ظهر الكاتب والشاعر السوبرمان جبران دننتسيو Gabriele d'Annunzio فتأثر اول عهده بتأليف القصة والاقصوصة بالفركا Verga . ثم ما كاد يشتد ساعده حتى نبذ ذاك التقليد وادهش نقاده وقراءه باقاصيصه ذات البرق الخاطف والشخصيات الفريدة الشاذة . يتحركون ويعملون لا كمثل كل الناس ، بل هم فوق البشر والقانون والعرف والعادات والاخلاق. لقد كان الدننتسيو d'Annunzio واقعياً اكثر من الواقع ذاته . فالمنزوني والفركا ودننتسيو يمثلون قواداً ثلاثة مختلفي المشارب والمناهج قادوا جمهور القصاصين حقبة من الزمن .

ومن القصاصين البارزين في هذا القرن ايضاً لويدجي بيرندللو Luigi Pirandello وقد عرفه قراء الادب بما نشرت له من القصص الطريف . ولكن شهرته ككاتب عبقري ترتكز على الاخص على التأليف المسرحي .

« وبيرندللو هو اهم استاذ في الحركة التطلعية واكثر روادها جداً ، وقد صار مسرحه منبراً يخطب من فوقه الممثل على جثة الادب القديم . وان مآسيه بما فيها من اقنعة مضحكة تخفي افئدة دامية ... » « ... ان بيرندللو يشعر شعوراً عميقاً بالزمن الحاضر المضطرب بسبب الحوادث والماديات اللاصقة به . واذا اتيح للمرء ان يشاهد مسرحية من مسرحياته ليقارنها بقصصه شعر فوراً باضطراب وقلق ... فكأننا في بحر مطرب ثائر لا يهدأ . وكل بطل من ابطاله ليس سوى « هملت » جديد ، لا يعرف معنى للهدوء والاستقرار ... »

الاقصوصة في العصر الحديث

ونخص الان بكلمة وجيزة القصّاصين المعاصرين او الذين لم يمض على وفاتهم غير بضع سنين . لقد اظهروا جميعهم في غير نظام . واعني بذلك انهم ارادوا ان يقوم كل فرد وحده دون

— البقية في صفحة ٦٦ —

وفاء

★

لم احبكِ يوماً
بل احببتُ فيك نفسي
وانعكاسات رؤايَ الحالمة

واعرف انني في خاطرك
لم اكن غير انتقام
لحبّ اضعتِه

عشنا معاً
فتألفت منّا اسطورة كاذبة
غصّت بها روحانا الماً
وعرفتنا الدنيا انشودة خالدة
فيا لهوان الهوى

لستِ لي ولم اكن لكِ

سأذهب وتذهبين
غريبين عاشا معاً
وابقيا من بعدهما
... اكذوبة ...

البير اديب

اغنية لاجيء

من شعر : اودن

ترجمة

عبد الوهاب البياتي

●

بغداد

●

لِنقُلْ : في هذه المدينة عشرة ملايين انسان
بعضهم مقيم في بيوت وبعضهم في كهوف
مع ذلك لا مكان لنا ، يا عزيزتي ،
لا مكان لنا .

بالامس كان لنا وطن ، وقد ظنناه عادلاً
انظري الى الخريطة ، فستجدينه هناك :
لكننا لا نستطيع الذهاب الى هناك ، يا عزيزتي ،
لا نستطيع الذهاب .

في كنيسة القرية سروة عتيقة
كل ربيع تتفتح براعمها من جديد
جوازات السفر لا تقدر على ذلك ، يا عزيزتي ،
لا تقدر على ذلك .

القنصل ضرب المنضدة ، وقال :
« اذا لم تحصل على جواز سفر فأنت — لا محالة — ميت »
لكننا لا نزال احياء ، يا عزيزتي ،
لا نزال احياء .

ذهبت الى جمعية ، فقدموا لي مقعداً
طلبوا مني بأدب أن اعود بعد سنة اخرى
لكن اين سنذهب اليوم ، يا عزيزتي ،
اين سنذهب ؟

حضرت اجتماعاً عاماً ، الخطيب اعتدل وقال :
« اذا تركناهم يدخلون ، فسيسرقون قوتنا اليومي »
كان يتكلم عنك وعني ، يا عزيزتي ،
عنك وعني .

ظننت انني سمعت الرعد مدوياً في السماء ؛
كان هتلر يرعد فوق اوربا : « يجب ان يموتوا »
آه كنا في باله ، يا عزيزتي ،
كنا في باله

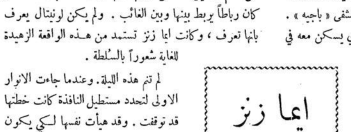
رأيت كلباً صغيراً في صدرية مشبكة بدبوس
وباباً مفتوحة وقطة تدخل :
لكنهما لم يكونا لاجئين ، يا عزيزتي ،
لم يكونا لاجئين

هبطت الميناء ووقفت على الرصيف
رأيت سمكاً يسبح كما لو كان حراً
على بعد عشرة اقدام فقط ، يا عزيزتي ،
عشرة اقدام فقط

تجولت في غابة ، رأيت الطيور على الاشجار
تغني بملء حناجرها ، فلم يكن بينها سياسيون
لم تكن من بني الانسان ، يا عزيزتي ،
من بني الانسان

حلمت بأني رأيت بناية بألف طابق ،
ألف نافذة ، ألف باب
لم تكن واحدة منها لنا ، يا عزيزتي ،
واحدة منها لنا

وقفت في سهل منبسط تحت الجليد المتساقط
عشرة آلاف جندي يغدون ويروحون
باحثين عنك وعني ، يا عزيزتي ،
عنك وعني



ايما زنز

لجوز لويس بورج

ترجها الى الفرنسية عن الاسبانية فيرا ماكورو

ترجها عن الفرنسيه نهاد التكرلي

في اليوم الرابع عشر* من كانون الثاني عام ١٩٢٢ ، عندما عادت ، « ايمّا زنز » من وضع النسيج العائد لتاربوش ولونيتال ، وجدت في آخر الرواق رسالة مؤرخة من البرازيل تعلمها ان اباها قد مات . كان الطابع والغلاف قد خدعاها لأول وهلة ثم اقلقتها الكتابة المجهولة . وكانت هنالك تسعة او ثمانية اسطر مخربشة تريد ان تملأ الصفحة ، وقد قرأت « ايما » بان المسيو « ماير » كان قد تناول خطأً جرعة كبيرة من مادة « الفيرونال » وكان قد مات في الثالث من الشهر الجاري في مستشفى « باجيه » . كانت الرسالة موقعة من احد رفاق ابيها الذي يسكن معه في البانسيون وهو شخص يدعى « فان » او « فاين » من ريو جراندو الذي لم يكن بوسعه ان يعرف انها موجهة الى ابنة المتوفى.

تركت « ايما » الورقة تسقط . وكان اول انطباع لها هو الشعور باضطراب في بطنها وركبتيها ، ثم شعور بذنب اعمى وبعدم الواقع وبالبرد وبالخوف ، وبعد ذلك تمنت ان تكون في اليوم التالي ولكنها ادركت في الحال بان هذه الرغبة تافهة لأن موت ابيها كان الحادث الوحيد الذي تمّ وقوعه في العالم وسيستمر على هذا الوقوع الى ما لا نهاية . وتناولت الورقة وذهبت الى غرفتها ، ووضعتها خلسة في احد الادراج كما لو كانت تعرف منذ الآن بطريقة من الطرق ما سيحدث لها . ولعلها كانت قد بدأت تراه قليلاً ، فهي كائنة منذ الآن ما قد تكونه في المستقبل .

وفي الظلمة المتزايدة بقيت « ايما » تبكي حتى آخر النهار انتحار « مانويل ماير » ، هذا الذي كان يدعى سابقاً في الايام السعيدة « عمانوئيل زنز » . وتذكرت الاصياف في البيت الريفي بالقرب من « جوالجي » وتذكرت « او حاولت ان تتذكر » امها ، وتذكرت البيت الصغير في « لانوس » الذي بيع في المزاد العلني ورأت من جديد اشكال المعين الصفراء لاحدى النوافذ ، وتذكرت الامر بالقاء القبض والعار الذي اعقبه، وتذكرت الرسائل المجهولة الاسم مع قصاصة الجريدة حول « اختلاس امين الصندوق » ، وتذكرت — ولكن هذا لم تكن قد نسيته ابداً — كيف ان اباها اقسم في الليلة الاخيرة بان السارق هو لونيتال . لونيتال ، أرون لونيتال ، هذا الذي كان سابقاً مديراً للمصنع واصبح الآن احد مالكيه . كانت « ايما » تحتفظ بهذا السر منذ عام ١٩١٦ ولم تكن قد كشفته لأحد ، حتى لأعز صديقاتها « إيلسا اورشتاين » . وربما لم تفعل ذلك خوفاً من عدم تصديق مدنّس، وربما لانها كانت تعتقد بأن هذا السر كان رباطاً يربط بينها وبين الغائب . ولم يكن لونيتال يعرف بانها تعرف ، وكانت ايما زنز تستمد من هذه الواقعة الزهيدة للغاية شعوراً بالسُلطة .

لم تنم هذه الليلة . وعندما جاءت الانوار الاولى لتحدد مستطيل النافذة كانت خطتها قد توقفت . وقد هيأت نفسها لكي يكون هذا اليوم، الذي بدا لها من دون نهاية، مثل الايام الاخرى . كانت هنالك في المصنع اشاعات بالاضراب ، وقد اعلنت « ايما » كالمعتاد بانها ضد العنف . وفي الساعة السادسة عندما انتهى العمل ذهبت مع « ايلسا » الى احدى النوادي النسائية وكان فيه محل للرياضة وحوض للسباحة . وقد سجلتا اسميهما هناك ، واضطرت ان تكرر وتتهجى اسمها وان تتظاهر بانها تتذوق النكات المبتذلة التي اثارها الفحص. وقد تجادلت مع ايلسا والبنت الصغرى لعائلة « كرونفس » عن السينما التي سيذهبن اليها يوم الاحد بعد الظهر . ثم دار الحديث عن الشبان ولم يكن احد يتوقع ان تأخذ ايما بنصيبها في الحوار. كان عمرها سيبلغ التاسعة عشرة في نيسان ولكن الرجال كانوا لا يزالون يوحون اليها بخوف يكاد يكون مَرَضياً ... وعند عودتها هيأت لنفسها حساءً بالتابيوكا وبعض الخضرات واكلت في وقت مبكر . واضطجعت في فراشها وارغمت نفسها على النوم . وهكذا مرّ يوم الجمعة ، وهو الخامس عشر من الشهر، عادياً كثير الاشغال حتى المساء .

وفي يوم السبت ايقظها عدم التحمل . عدم التحمل وليس القلق ، وكذلك الارتياح الفريد لانها وصلت اخيراً الى النهار العظيم . لم يعد لديها الان ما تريده او تتخيله وهي ستصل بعد

قصة

* نشرت هذه الاقصوصة « Emma Zunz » في العدد الثالث من مجلة « الآداب الجديدة » Les Lettres Nouvelles وهو عدد مايس عام ١٩٥٣ .

بضع ساعات الى بساطة الوقائـــع . وقد قرأت في جريدة « البريس » بان الباخرة « نوردستارنان » في مالمو سترفع المرساة هذا المساء من الرصيف رقم «٣». وقد خابرت لونيتال بالتلفون وافهمته بانها تريد ان تبلغه شيئاً عن الاضراب من دون علم الآخرين وقد وعدته بانها ستمرّ في مكتبه عند هبوط المساء. كان صوتها يرتجف وقد كان هذا الاضطراب ضرورياً في دور واحدة تقوم بالوشاية ولم تحدث في هذا الصباح اية واقعة اخرى تستحق الذكر . اشتغلت « ايا » حتى الظهر وقـد حددت مع ايلسا وبيرلا اكرونفوس تفاصيل خروجهم يوم الاحد . وبعد الغذاء اضطجعت واستعادت وعيناها مغلقتان الخطة التي كانت قد رسمتها . وخطر ببالها ان المرحلة النهائية ستكون اقل رعباً من الاولى وانها ستجعلها تتذوق من دون شك طعم النصر والعدل . وفجأة ركضت مذعورة نحو درج الدولاب وفتحته فوجدت رسالة « فان » تحت تصوير « ملتون سيلز » في المكان الذي تركتها فيه في المساء . ولم يكن بوسع احـد ان يراها . وقد طفقت تقرأها ثم مزقتها .

قد لا يكون من السهل ولا من المناسب نقل حوادث بعد ظهر اليوم بشيء من الواقعية . فان احـــدى خصائص ما هو جهنمي هي عـــدم واقعيته وهي خاصية يبدو انها تخفف من فظائعه ومن المحتمل انها تزيد فيها . كيف يمكن جعل هذا الفعل الذي لا يكاد الشخص الذي ينفذه يؤمن به محتملاً، يمكن تصديقه ؟ وكيف يمكن الاهتداء الى هذا التشوش الموجز الذي كانت ذاكرة « ايا زنز » ترفضه اليوم وتخلطه ؟ كانت ايا تسكن في جانب « الماجرو » في شارع لينيه ونحن نعرف بانها قد ذهبت بعد ظهر هذا اليوم الى المرفأ . ومن المحتمل انها قـد رأت صورتها تتعدد في المرايا تحت قناطر يازوجيلو المشبوهة والسيئة السمعة ووجدت نفسها بارزة في الانوار تعرّيها نظرات اعين جائعة ، ولكن الاقرب الى العقل هو ان نفترض بانهـــا تجولت في بادىء الامر تحت القباب غير المكترثة من دون ان يلاحظها احد ... وقد دخلت في بارين او ثلاثة ورأت الروتين او الكيفيات التي تروّض بها بعض النساء هناك . والتقت اخيراً برجال الباخرة « نوردستارنان » . وخشيت ان يوحي لها احدهم وكان شاباً في مقتبل العمر بشيء من الحنان فصممت ان تختار واحداً غيره ، ربما كان اصغر منها ، فظاً خشن الطباع ، لكي لا يخفّ شيء من نقاوة الرعب . وقادها الرجل الى باب وبعد ذلك الى رواق مشبوه ثم الى سلّم متعرج ثم الى مجاز « كان فيه حاجز من الزجاج ذو معينات شبيهـــة بتلك الموجودة في دار لانوس » وبعد ذلك الى ممر ثم الى باب اغلق خلفهما . ان الوقائع الخطيرة خارجة عن الزمان إما لأن الماضي المباشر يبقى مقطوعاً فيها عن المستقبل نوعاً ما واما لأن الاجزاء التي تتألف منها لا تبدو متتابعة .

هل فكرت « ايا زنز » خلال هـــذا الزمان الخارج عن الزمان وفي هذه الفوضى المشوشة من الاحساسات المنفصلة الفظيعة ولو مرة واحدة في الميت الذي كان السبب في هـــذه التضحية ؟ اما من ناحيتي فاعتقد بانهـا فكرت فيه مرة واحدة وان قصدها اليائس قد وجـد نفسه في خطر في تلك اللحظة . لقد فكرت (ولم يكن بوسعهـا الا ان تفكر) بأن اباها قد صنع لامها هذا الشيء المخيف الذي كان يُصنع لها الآن . وقد فكرت في ذلك بدهشة ضعيفـة والتجأت حالاً الى الدوار . لم يكن الرجل يتكلم الاسبانية وهو كما يبدو سويدي او فنلندي وقد كان اداة بالنسبة لـ « ايا » كما كانت هي اداة بالنسبة له، ولكنها كانت تخدم الاستمتاع وكان هو يخدم العدل .

ولما بقيت ايا وحدها لم تفتح عينها في الحال ، كانت النقود التي تركها الرجل موجودة على المنضدة وقد انتصبت ايا في جلستها ومزقتها كما كانت قد مزقت الرسالة في السابق . كان تمزيق النقود كفراً كرمي الخبز وقد ندمت ايا على ذلك بعـد ان فعلته بقليل . عمل كبرياء ويوم مماثل ...

وتلاشى خوفها في حزن جسدها وفي التقزز . كان التقزز

والحزن يقيدانها ولكن ايما نهضت ببطء وشرعت في ارتداء ملابسها . لم يعد في الغرفة أثر للألوان الزاهيـة وكانت نهاية الشفق تتزايد . واستطاعت ايما ان تخرج من دون ان يلاحظها أحد . وفي زاوية الشارع ركبت ترامواي « لا كروز » الذي كان متجهاً نحو الغرب . وقد اختارت المصطبة الاولى حسب خطتها لكي لا يرى احد وجهها ، ولعل الحركة المعتادة في الشوارع قد طمأنتها بان ما حدث لها لم تنتقل عدواه الى الاشياء ومرت باحياء مزدحمة كثيفة كانت تراها وتنساها في نفس اللحظة وتركت الترامواي في احدى زوايا شارع « فارنس » . وبصورة غريبة صار تعبها قوة كأنها كانت ترغمه على ان يتركز حول تفاصيل المغامرة . وقد كان يخفي عنها الحقيقة والنهاية .

كان ارون لونيتال يبدو في نظر جميع الناس جدياً وفي نظر خلصائه القلائل بخيلاً . وكان يقطن وحده في الغرف العليا من المصنع . وبالنظر لانه كان يعيش في ضاحية منعزلة فقد كان يخشى اللصوص . ولذلك كان هنالك كلب كبير في الفناء ومسدس في درج مكتبه — كما لا يجهل ذلك أحد — وفي السنة السابقة ذرف الدمع كما ينبغي على موت زوجته غير المتوقع . وهي من « جوس » وقد جلبت له بائنة كبيرة ! غير ان النقود كانت هواه الحقيقي . وقد كان يشعر في خجل خفي مع نفسه بانه اقل براعة في تحصيل النقود من ادخارها والمحافظة عليها . وقد كان متديناً الى آخر حد يعتقد بانه عقد تحالفاً خفياً مع الله يسمح له بان يستغني عن عمل الخير ويستبدل به اقامة الصلاة والتقوى . كان اصلع ضخم الجثة يرتدي ثياب الحداد ويضع نظارات ذات زجاج مدخّن وله لحية شقراء وكان ينتظر وهو واقف قرب النافذة التقرير السري الذي ستأتيه به العاملة زنز.

رآها تدفع الباب الحديدي (الذي كان قد واربها عمداً) وتجتاز الفناء المعتم . ورآها تقوم بعطفة صغيرة عندما نبح الكلب المربوط . وكانت شفتا ايما تتحركان كما لو كانت تصلي بصوت خافت : كانت هذه الشفاه المتعبة تردد الحكم الذي سيسمعه السيد لونيتال قبل ان يموت .

ولكن الاشياء لم تجر كما كانت ايما زنز قد توقعتها . فهي منذ المساء حتى الصباح كانت ترى نفسها في الخيال ممسكة بالمسدس بيد ثابتة وقد اجبرت التعيس على الاعتراف بغلطته البائسة وعرضت عليه الحيلة الجريئة التي ستسمح لعدالة الله بان تنتصر على عدالة الانسان — لا خوفاً من هذه العدالة الألهية بل لانها كانت اداة في يدها ولم تكن تريد ان تُعاقب — . ثم تنطلق طلقة تصيبه في منتصف صدره وتغلق مصير لونيتال الى الابد. ولكن الامور لم تجر على هذا الشكل .

لقد شعرت ايما امام ارون لونيتال بأن رغبتها في معاقبة الاهانة التي عانتها اقوى من تلك الرغبة الملحة في الانتقام لأبيها. ولم تكن تستطيع ألا تقتله بعد هذا العار الذي نظمته بصورة دقيقة، ولم يكن لديها كذلك وقت تضيعه في تأثيرات مسرحية اعتذرت الى لونيتال وهي جالسة خجلة واثارت (كواشية تجيد دورها) واجبات الاخلاص ولفظت بعض الاسماء وحاولت أن تسمعه اسماء اخرى ثم قطعت حديثها كأن الخوف قد قهرها واستحوذ عليها. وكانت نتيجة ذلك ان خرج لونيتال يبحث لها عن قدح من الماء . وعندما عاد من غرفة الطعام متسامحاً لا تخطر بباله هذه الحيل المصطنعة كانت ايما قد سحبت المسدس الثقيل من الدرج . ضغطت مرتين على الزناد فانهار الجسم الضخم كانه قد تحطم باصوات الانفجار وبالدخان ، وانكسر قدح الماء . ونظر اليها الوجه بدهشة وغضب وشتمها فم الوجه بالاسبانية الدارجة . لم تكن الشتائم تخضع فاضطرت ايما الى ان تسحب الزناد مرة اخرى . وانفجر الكلب المربوط بالفناء بنباح متصل وتدفق فيض من الدم من الشفاه القبيحة ولوث اللحية والملابس . وبدأت ايما تتفوه بالاتهام الذي كانت قد اعدته « لقد انتقمتُ لأبي ولن يستطيع احد معاقبتي ... » ولم تعرف ابداً عما اذا كان قد استطاع ان يعي ما تقول .

كان النباح ملحاً وقد ذكّرها بانها لا تستطيع ان تستريح فعملت على جعل الأريكة مختلة النظام وفتحت ازرار سترة الجثة وسحبت منها النظارات الملطخة وتركتها على المنصة . ثم تناولت التلفون وكررت ما كانت قد كررته مرات عديدة بنفس هذه العبارات وعبارات اخرى غيرها : « لقد حدث شيء لا يمكن تصديقه ... لقد استقدمني المسيو لونيتال بحجة الاضراب ... وأساء اليّ فقتلته ... » .

كانت الحكاية غير ممكنة التصديق في الواقع ولكنها فرضت نفسها على كل شخص لأنها كانت صادقة في جوهرها . لقد كانت نبرة (ايما زنز) صادقة وكان حياؤها صادقاً وكان حقدها صادقاً . وكانت الاهانة التي عانتها صادقة ايضاً وهي لم تزيّف إلا اسماً او اسمين من الاسماء الخاصة .

بغداد　　　　نهاد التكرلي

الى صغيري

✳

أنا عنكما ، عن بسمة العمر ، عن الاهل ، بعيدُ
عن نكهة الطهر وعن ريفٍ توشّيه الورود
عن رقصة النور على شبّاكنا الساجي الصغيرِ
يهتاجه لحن كناريْن مع الفجر الغرير !
ويذوب في عينين خضراوين في لون الاماني
تتفتحان مع الصباح وتسكبان لنا الاغاني
فتطلّ عينٌ لونها لون الليالي المخمليّه
وتشيع في نفسين آمالاً نديّاتٍ سنيّه
واذا فمانا لهفةٌ ولهى لوجناتٍ طريّه
واذا صباح الغرفة الخرساء ألعابٌ بريئه
وصدى لأنغامٍ مرّنات وضحكات طويله
ورفيف أطيابٍ يراقص فوحُها مرحَ الطفوله

★

والآن ... تفصل بيننا دنيا وتبعدنا بحارُ
وحنين قلبينا كهائج موْجها أبداً مُثار !
أيعود بعد النأي والحرمان يجمعنا الزمانُ
ويعود يغمر عيشنا صفوٌ ويسعدنا حنان
ويظلّنا النارنج والزيتون في الريف الجميل
ونعود نسرح خلف« وادي البئر» في تلك الحقول؟

فنزويلا

فؤاد الحشن
من اسرة الجبل الملهم

ابو العلاء المعري ومشكلة الزمان

بقلم ابراهيم شكر الله

٣

فناء « الانا » عند المتصوفة المسلمين

على ان هذا ليس هو الوجه الأوحد للنفس العربية .

فبينما خرج الاسلام الغازي المنتصر الى الشام تقوده اموية نصف جاهلية ، ظل الاسلام المتأمل ومعه ذلك الجانب الحزين من الروح العربية في الحجاز والجزيرة العربية عازفاً عن النصر والمجـــد والسؤدد مضطرباً بين طلائع صوفية روحية قلقة ، وبين صوفية شعرية حديثة : التمسا ذروة تحقيقها في المأساة .

فهام المتصوفة — دون اي زاد من منهاج فلسفي او دافع ديني — في شوق الى الحرمان والمذلة والموت . وهام العذريون يلتمسون هم ايضاً حرماناً ومذلة وموتاً اختلفت فيهـــا اسماء الرموز ولم يختلف المعنى .

ولا ادل على وحدة منبع هذين الجدولين اللذين ترقرقت فيهما روح الجزيرة من اجتماعهما معاً وازدواجهما في شخصية سلاّمة القس . فهو عاشق ومتصوف معاً . جمع بين الهيـــام بالحقيقة الالهيـــة وبالمعشوقة ، ورضي من الحبين بالحرمان ونصرة الموت .

وليس ابلغ للدلالة على روح المأساة التي طغت على الجزيرة في العصر الاموي من ثورة ابن الزبير وثورة الحرّة ، ثم خروج زهرة شباب الحجاز تحت امرة غصن الجنة الباسق ووردتهـــا المخضبة ، الحسين بن علي ، في غزوة حفلت بجو المأساة وبالرجع الحزين لصرخة الروح المشوقة القلقة التي وقفت — مكللة الهام من طل الاسلام — تتأمل الافق الجديد ، تحاول تبين خيوطه واطياف ألوانه . فاسمع لنجوى الروح التي لا تستيقظ الا في هدأة الليل تقول :

اقضي نهاري بالحديث والمنى ويجمعني والهم بالليل جامع
نهاري نهار الناس حتى اذا بدا لي الليل هزتني اليك المضاجع

ومن هذه الجذور قامت الصوفية في الاسلام ، ثورة الروح على حياة العقل والنصر . فكما رأينا في المتكلمين والفلاسفة والشعراء اضطراد الايمان بالعقـل وتقديسه ، نرى في المتصوفة انكاراً لسلطانه فيقول ابن عربي :

« ان من يؤمن بانياً ايمانه على البراهين والاستدلالات لا يمكن الوثوق بايمانه لانه مستمد من الفكر والنظر ولذا فهو ايمان يتأثر بالاعتراضات . وليس الحال هكذا في الايمان النفسي الذي مركزه القلب والذي لا يمكن ان يدحض » .

وفي هذا يقول جلال الدين : « يغلب على جماعـة العاشقين حال اخرى لأن في خمر المحبة نشوة لا يدركها سواهم . وشتان بين المحبة القلبية والعلم الذي يكتسب بالدراسة » .

وقد سبق ان ذهب احد المتصوفة الى القول بأنه : « عندما تتجلى الحقيقة يرتد العقل لأن العقل هو الأداة التي تستخدم لمعرفة العبودية ، وليس للوقوف على الكنه الحقيقي للربوبية » .

والأنا عند المتصوفة المسلمين هو الحجاب الذي يخفي وجه الله عن الانسان . وقد نسب الصوفية الى النبي عبـارة اتخذوها شعاراً لهم وهي : « وجودك ذنب لا يقاس به ذنب آخر » [١] وهي عبـارة يفهم منها ضرورة تلاشي شخصية الصوفي (الأنا) وثنائيتها امام الخالق . وقد عبّر جلال الدين الرومي عن هذه الحالة بقوله : « طهر نفسك من كل صفة ذاتية حتى تدرك كنه وجودك المشرق » [٢] . وفي هذا الفناء يبطل الزمان والمكان . « فمكاني بلا مكان واثري بلا اثر » [٣] والصوفي الذي اهتدى الى حقيقة السموات والارض لا يعرف ما هو فوق وتحت ، قبل او بعد ، يمين او يسار » [٤] .

---

(١) سر الاسرار لعبدالقادر الجيلاني. (٢) مثنوي ومعنوي لجلال الدين الرومي
(٣) ديوان شمس تبريزي . (٤) تذكرة الاولياء للعطار .

لذلك يقول حافظ في ديوانه : « ان من لا يخرج من قصر الكائن الطبيعي ، لا يستطيع ان يبلغ قرية الحقيقة » .

في هذا الفنـاء يتألق معنى الديمومة ، فتختفي صور الحيـاة الساعية ، ولا تبقى غير الصور الخالدة للمعاني الخالدة . في هذا الفناء – في اللاأنا – نرى الدائرة (او الماندالا كما يسميها يونج) حيث يتداخل الماضي والمستقبل في بعضهما دون توقف او انفصام وحيث تشرق الحقيقة الالهية الكبرى .

« دعني اتلاشى وافنى فأن الفناء يصيح بي في انغام الارغن بأننا اليه نعود » .

تلاقي « الانا واللاانا » في لحظة الاشراق

على ان هذا الفناء ليس اختفاء كاملاً للأنا ولا للعقل الواعي والا يكون الانسان قد تحلل من تراثه العقلي والحضاري جميعه وارتد الى بدائية الفردوس حيث تختفي المعرفة وتتداخل المعالم ويضيع الشكل والنسق والتعبير .

ويقول آدلر : « ان الطاقة الفوق الفردية (الروحيـة) وصور اللاواعي الخالدة لا تتضح ولا تبين الا في المجال المكاني الزماني . اي في العقـل الواعي . فلا وجود للحاضر في الخلود واللانهاية بل هما دائرة يتداخل فيها الماضي والمستقبل في بعضهما دون توقف او حدود » .

« والذي يستطيع ان يوقف هذا التدفق الدائم لبرهـــة متناهية في القصر هو العقل الواعي الذي يصبح اذ ذاك الحقيقة الواحدة التي تتحقق فيها الصور الخالدة . ان وجودنا الفردي قائم بين الماضي (الأبدي) والمستقبل (اللامتناهي) . وهـذا اللاتناهي يجب ان يعيد كل فرد فهمه واستيعابه اذا اراد ان يخضع للطاقة المبدعة . فاذا تحقق هذا الاستيعاب على نحو مرض عاد الأنا الى الاتصال بجذورنا المختفية في اللاواعي . وهكذا يرتبط حاضرنا بماضينا وتظل سلسلة الوجود سليمة غير مفصومة . فلا يعود الفرد يحس بالعزلة والوحـدة ويكتسب وجوده معنى جديداً باعتباره تحقيقاً لسير الحياة الخالدة[1] » .

ومعنى هـذا ان اللاواعي لا يحقق جوهره الا عن طريق ادراك العقل الواعي له . فبينما العقل اللاواعي اعمق جـذوراً واكثر مقدرة على الابداع والخلق ، فان الأنا المفرد وعيه وقدرته على الافصاح هو الأداة التي تعبر بها القوة الخالقة للاواعي عن نفسها والتي بدونها لا يمكن ان تصاغ هذه الخبرات الروحية في معنى بشري .

فاذا استخدمنا المنطق الجدلي (الديالكتيكي) قلنا ان اللاواعي هو القضية وان الواعي هو نقيضها . فاللاواعي غير متناه في الزمن وثابت في الوجود . بينما العقل الواعي قائم في الزمن ومندفع في حكمة دينامية لاتفتر ولا تخمد . واللاواعي سلبي ، والواعي ايجابي يشـير الفرقة والفصل والكثرة بينما اللاواعي في وحدانية مع الوجود كله .

وعلى هذا فالمشكلة قائمة من ناحية علم النفس في العلاقة بين اللاأنا اي الذات في معناها الشامل وبين الأنا . فرغم ان الوعي معناه التضحية بالوحدة والانسجام الخالد مع هذه الذات الشاملة – على نحو ما جاء في قصة آدم والفردوس – فقد اقبلت الذات على التضحية رغم هذا ببذل تساميها وقبول عنصر الزمن والفناء حتى تصبح حدثاً واقعياً فردياً محساً لنفسه .

ومثل هذا المعنى – الذي تفصله السيكولوجية اليونجية – قائم ايضاً في التصوف الاسلامي . فالقشيري يرى الفناء استغراقاً كاملاً في موضوع التأمل ، وربما فقد ارثاً كاملاً للوعي بالأنا . على ان أنا نفسه لا يفنى فناء تاماً ، بل هو فناء شبيه « باستغراق المحب في حبيبه » .

ويرى ابن عربي الفناء في السعي لعبور ما سماه بالهوة المتوهمة بين الواحد والعدد (الذات والأنا في عبـارات يونج) . وهي الهوة التي لا يمكن عبورها عقلياً . ويرى ابن عربي ان الخبرة الصوفية وحدها هي الحل الكامل لهـذا التناقض . ولكن بينما نرى في صيحة الحلاج « أنا الحق » تعبيراً عن عاطفة دينية عارمة احس فيها بوحدانيته مع من يحب ، نجـد في حديث ابن عربي عن الاتحاد الصوفي مع الله « حالة » يتحقق فيها ويثبت اتحـاد قائم فعلاً . فالمتصوف لا يصبح الله فليس عند ابن عربي صيرورة بل هو فعلاً وفي جوهره واحـد مع الله في معنى يشمل ايضاً الخليقة كلها . فالالهي موجود فعلاً – فيّ وفيك – ليس كعنصر في طبيعتنا (لاهوت حال في الناسوت كما قال الحـلاج) بل وجها لهذه الطبيعة وجانباً منها .

والفناء عند ابن عربي هو فناء الاشكال ، فناء عالم الظواهر واستمرار الجوهر الواحـد الشامل ، او « الخلق الجـديد » .

(١) Ibid p. 180

فيقول ان اختفاء الشكل هو فناؤه في لحظة تجلي الله في صورة اخرى .

فهذا الفناء اذن ليس فناء كاملاً . فالصوفي يرى ان نفسه كـ - شكل - لا وجود لها على نحو مستقل بنفسه . ولكن - بالنظر لطبيعة الشكل - فهو لا يستطيع ان يتحول عنها كلية . فكيف يمكن - حتى للصوفي - ان يموت عن نفسه ، ويصبح في نفس الوقت على وعي بالله كحقيقة شاملة لكل شيء.

وابن عربي يفرق بين حالتين صوفيتين : الاولى اختفاء جميع آثار ومميزات « الذات » (الأنا في علم النفس) واسمه « الفناء عن الرسم حالاً » ، وهي حالة اشبه بالنوم والصوفي فيها ليس مع نفسه ولا مع الله وانما هو في حالة نوم وجهالة . والثانية زوال الأنا في حالة من المعرفة الذوقية (الالهام) التي يكشف فيها عن الوحدة الجوهرية للكل . وهذا هو جانب الخبرة الصوفية الذي يبرزه ابن عربي . فابن عربي يبحث عن معرفة من نوع لا يأتيه الشك ولا يتطرق اليه الوهن . فالقول باني قد اصبحت الله او مت عن النفس في معنى غير مجازي هو ضرب في دياجير الجهل ، وان ترى نفسك « وحيداً » في الخبرة الصوفية اشراك بالله .

وهكذا ينفي ابن عربي سيطرة « اللاأنا » سيطرة كاملة وفناء الأنا كليـة . فالصوفي الكامل هو الذي يرى « الله » و « ذاته » على السواء مجتمعتين في خبرة صوفية عن طريق علم واحساس صوفي « علماً وحالاً » [1] .

اي ان الصوفي الكامل هو الذي يدرك كلاً من الجوهر والشكل (الصورة) ويدرك كذلك وحدتها الجوهرية . وهذا هو أكمل انواع الفنـاء التي يستطيع ان يرتفع اليها الصوفي في حياته .

وهكذا فالمزج بين الأنا واللاأنا بين العقل الواعي واللاواعي يخلق ادراكاً جديداً يصل بين طرفي المناقضة ، بين الابدية التي بلا زمن والوجود الانساني المفرد الذي يحيطه الزمن . ونظراً لأن اللاواعي سلبي ، والنفس الواعية ايجابية فان مثل هذا الادراك الذي اشرنا اليه يصبح « سلبية ايجابية » . اي تحول يقظ متفتح للظهور المناسب للصور الخالدة . ونتيجة هذا ان يقوم تناغم كامل في دائرة مقطوعة ، فصلت اطرافها ولكن لا سبيل الى اختراقها .

وهذا الالتقاء النادر الذي يوقف فيه الأنا - للحظة متناهية في القصر - تدفق اللاأنا ويكشف فيها الواعي عن الثروات الكامنة في اللاواعي ، هو جذوة الصوفية وقمة خبراتها وغاية عملية الإفراد individuation التي تستقر فيها النفس عند يونج ، وتحل عقدها المستعصية .

على انها خبرة نادرة مستعصية يحيطها الخطر وتكثر فيها المزالق . فالعقل الواعي فيها يذوي حتى يكاد يختفي وتخبو جذوته ولا يتبقى غير ذبالة خافتة يخشى عليها الانطفاء جملة . والاساطير جميعها تبرز الخطر الماحق الذي يحيط رحلة البطل التي هي عبارة عن اسقاط لهذه الخبرة الروحية الهائلة[2] .

وهذا هو السبب الذي من اجله حرص المشرعون والانبياء منذ البدء على بناء الاسوار المانعة حول هذه الخبرات الروحية العميقة خشية منها على العقل الواعي « مَن مِن بني البشر سمع صوت الله الحي متكلماً من وسط النار مثلنا وعاش» و «الهنا نار محرقة » كما يقول بولس الرسول في رسالته الى العبرانيين .

(١) مواقع النجوم لابن عربي ص ٢٩ — ٣٠

(٢) T. Campbell : The Hero with a thousand Faces

على ان الاديان حرصت دائماً على حصر هذه الخبرة الاولى، وبلورتها عن طريق الطقوس الدينية. فالطقس – بتكيفه الرمزي للخبرة الاولى – يمكّن الانسان العادي من ان يقترب من حالة الوجد حتى اقصى اطرافها ثم يقفل راجعاً وقد تزود بالثروة الروحية، واتصل بالطاقات الضخمة المخزونة في اللاأنا دون ان يتعرض لرهبة الخبرة الاصيلة نفسها وخطرها.

وقد رأينا مثالاً لهذه الطقوس التي يقترب فيها الانسان من الخبرة الصوفية الاولى في اعياد العام الجديد عن المصريين القدماء وعند الكلدانيين حيث تجتمع اطراف الزمن ماضيه وحاضره في لحظة الطقس الراهنة ويصبح الملك هو الاله الذي حارب الموت ووطد اسباب الحياة.

ويقدم لنا الانتروبولوجيون حصيلة ضخمة لتمثل الشعوب البدائية لهذه الخبرة الروحية الاولى. والطقوس التي مارسوها لاستعادتها. فيقدم لنا مالينوفسكي وصفاً مثيراً للاعياد القبلية لسكان جزر التروبرياند. وتبدأ هذه الاعياد عادة بأن يقوم الكبار برواية حكايات صوفية وممارسة طقوس سحرية يذكرون فيها شباب القبيلة ان ارواح اسلافهم على وشك العودة من العالم السفلي. فاذا بدأ موسم افراح الحصاد عادت هذه الارواح واستقرت في القرية جالسة على الاشجار متكئة على المصاطب العالية التي تقام خصيصاً لهم يراقبون الرقصات السحرية[1].

وهكذا تلتقي في هذه الطقوس السحرية « الأنات » المنفصلة لافراد القبيلة، يمتزجون ببعضهم البعض كما يمتزجون بماضيهم المتمثل في ارواح اسلافهم بل يمتزجون بكل الاشياء التي في الطبيعة. وبهذا تلغى عزلة الفرد، ويلتقي الواعي الزماني باللاواعي الخالد. فيتلاشى الزمان والمكان ويصبح الماضي حاضراً ويرتد « العصر الذهبي » المنطوي في سير الآلهة ليقوم على الارض.

ويقول ماريت[2] كذلك ان قبائل الاورنا في الصحارى الاسترالية الوسطى قد اقامت عن طريق الطقوس الدرامية ما يطلق عليه « الشيرنجا » خارج نطاق المجال الزمني يرتون منه كلما ثقل عليهم عبء الحاضر والحياة الواعية. وذلك بالاتصال

(١) Malinowski; The Foundation of Faith and Morak p 14

(٢) Marett: Faith, hope and Charity in Primitive Religions p. 36

والمشاركة مع المخلوقات الخالدة وذواتهم المثالية. فيجمعون في هذه الخبرة الروحية بين « الانا » و« اللاأنا » اي الذات الشاملة التي تلتقي فيها الاجيال واطراف الزمن.

على ان الطقس كثيراً ما يتحجر وتنضب ينابيعه ويفقد الصلة بالخبرة الاولى. فيتحول البحث عن هذا الالتقاء الفريد والخبرة الروحية في جداول اخرى اهمها الفن.

ونجد هذا السعي في عصرنا في ت.س. اليوت حيث الالحاح الفني المتصل لاقتناص « لحظة حديقة الورد ». وهي لحظة – بما يحتشد حولها من صور دينية ورمزية – ترد كثيراً في شعر اليوت وخاصة في قصائده الاخيرة. وقد قام الناقد اونجو[1] بتتبع اصول رمزية لحظة حديقة الورد فوجدها في « النقطة الثابتة للعالم الدوار » وهي لحظة اشراق خارجة عن نطاق الزمان فيها الالتقاء بين الزمن والخلود.

وفيما يلي مثال للالتقاء الذي ينبثق عن هذه اللحظة في الكورس السابع لقصيدة « الصخرة » (١٩٣٤) الذي يستمد موضوعه من سفر التكوين[2]:

(١) « T. S. Eliot and the Rose Garden » T. S. Eliot: A Selected Critique, ed. L. Unger

(٢) Collected Poems (1909 — 1935) p. 173

ثم اتت لحظة سبق تحديدها ، لحظة في الزمن ومن الزمن ،

لحظة ليست خارج الزمن ، بل في الزمن ، فيا نطلق عليه التاريخ : تخترق عالم الزمن وتشطره ، لحظة في الزمن ولكنها ليست مثل لحظات الزمن ،

لحظة في الزمن ولكن الزمن صنع في تلك اللحظة : فدون المعنى لا يوجد زمن ، وتلك اللحظة في الزمن فاضت بالمعنى .

ولحظة حديقة الورد – بالاضافة الى المغزى الديني والصوفي العميق الذي تنطوي عليه –هي كذلك لحظة ارتفاع الذكريات الشخصية العميقة للشاعر . وهي ما يطلق عليه اليوت « النظير الموضوعي » ويحدده « بأنه مجموعة من الموضوعات ، سلسلة من الحوادث ، او هي موقف يصبح صيغة العاطفة المتميزة » . ومجموعة الصور التي تحتشد في الحاح حول محور « لحظة حديقة الورد» هي النظير الموضوعي عند اليوت للعاطفة المتميزة الصادرة عن ادراك التعقد والعمق للحياة التي يضمها الزمان في لحظة واحدة .

وابيات من قصائده الاخيرة « الرباعيات » قد تزيد المعنى وضوحاً[١] :

ان تكون واعياً معناه ان تكون في الزمن
ولكن في الزمن وحده يمكن للحظة حديقة الورد ،
للحظة في الخميلة حيث ضربات الرذاذ
اللحظة في الكنيسة التي تخترمها الريح عند سقوط الدخان
ان تذكر – وقد ارتبطت بالماضي والمستقبل .
خلال الزمن وحده يهزم الزمن .

وهكذا نري فكرة « اللحظة » باعتبارها وحدة جوهرية تحتوي الحياة في قمة ثرائها وتنطوي على الحاضر والماضي والمستقبل تحل في الوجدان الشعري الحديث محل محاولة ايجاد الماضي في الحاضر بل جعل الماضي حاضراً كما في محاولة بروست في رواية « البحث عن الزمان الضائع » . [٢]

والواقع ان اكثر الادب الاوربي الحديث هو محاولة تسجيل هذه اللحظة الفريدة التي تسميها فرجينيا وولف « لحظة الوجود » وتجعل هدفها من جميع تجاربها الفنية في الرواية التعبير الفني عن هذه اللحظة. فنرى في روايتها « الى الفنار »[٣] احساساً بالاجهاد والخطر الذي يحيط بهذه اللحظات . وادراك كذلك لضرورة صب كل شيء في نطاق وحدة زمنية غاية في القصر نظراً لاستحالة اطالة التوتر الشديد الذي يتصف به قيام هذه اللحظات في النفس .

وفي كتابها السنون[١] في الفصل الاخير نقرأ هذه العبارة :

« وانشدت تقول لنفسها » لا بد ان هناك حياة اخرى هنا والان . هذه الحياة غاية في القصر غاية في التكسر .... ثم جعلت راحتيها على منكبها مجوفتين كأنما تريد ان تحيط بها اللحظة الراهنة وان تبقيها وان تزيدها وتثريها أكثر فأكثر بالماضي والحاضر والمستقبل حتى تشع كاملة وهاجة عميقة بالمعنى .

ثم بدأت تنادي « ادوارد .. » لتسترعي انتباهه . ولكنه كان لا يصيخ لها سمعه . فقالت لنفسها وهي تبسط يديها ان لا جدوى . يجب ان تسقط . ان تقع . وفكرت « ثم ماذا ... ؟ »

وروايات فرجينيا وولف في الواقع سلسلة من المحاولات لاقتناص هذه اللحظة الاشراقية . فقد احست ان هذه المحاولة ضرورة بل رسالة عليها أداؤها . كما احست على نحو متزايد ان هذه اللحظة لا تكاد تخرج الى حيز التعبير حتى تسقط وتقع . ومن ثم كان هذا التنوع الواسع فيما استخدمته من اساليب في صناعة الرواية فاتت رواياتها جميعاً تجارب تستهدف احداث شكل جديد للرواية تحل فيه الوحدة الزمنية المنفردة للحظة الوامضة محل التتابع الزمني المستمر للايام والشهور والاعوام .

وهكذا تحولت الرواية السيكولوجية من عناية واستغراق في الشخصيات الى استغراق في لحظة الوجود . فلم يعد التحليل الجليل الخطر في الابداع الفني دراسة الافراد بل تحليل التأثر المتبادل والتجاوب بين الاشخاص والاشياء والجو خلال لحظة قائمة في نفس مفردة هي نفس المنشىء لحظة من الادراك المتأجج .

وهكذا تصبح الشخصيات مجرد اسقاطات للمؤلف وهو ما نراه في رواية « الامواج »[٢] حيث الشخصيات الستة عبارة عن جوانب مختلفة لذات فرجينيا وولف حاولت ان تفصلها عن بعضها وتباين بينها .

وفي جميع هذا نرى عودة الروح الانسانية بعد غربة العقل الطويلة الى منابع وجودها في اللاواعي حيث يتم التقاء الاضداد واجتماع المتناقضات واشراق وجه الله بالحكمة الاثيلة والخلود الساكن . [يتبع]

القاهرة — ابراهيم شكر الله

(١) Four Quartets
(٢) Proust : A la Recherche du Temps Perdu
(٣) Virginia Woolf : To the Lighthouse (1972)

(١) The Years (٢) The Waves

حداد ابيض

للشاعرة الفرنسية

جرمين بومون

ترجمة اديب مروة

●

باريس

●

جليد ناصع يحيل العشب اصفر فاقعا ،
ويطعن قلب الخمائل الغناء .
فتنقبض الزهرة الغضة وتتقلص ألماً .
لقد اطل شتاء جديد ...
متلفعاً شحوب البراءة وحرير المخمل الصافي .
فاذا الايام الحلوة في حداد ابيض .

★

وعلى الروابي ينتشر كفن خفيف ذو طيات معطرة ،
حيث تترك اوهن خطوات الطير عليه أثراً ،
وتضيع فيه مئات الاصداء ،
وتتلاعب فوقه اضواء النهار ،
صابغة السفوح بلون الورد ...
وربما تدثرت به جنية ذات خد أسيل

★

وهكذا يرسم رذاذ الثلج على النوافذ طحالبه الفضية .
وتكشف الارض اسرارها ببراءة خلال مظاهر واهنة .
وتتضخم اقل طية فيها الى عروق كاوراق الشجر ...
هكذا تستقبل الارض اللينة عدوها الجميل القاتل !

★

وتتطاير الاوراق الشقر مع الريح مأخوذة به .
فتسبح مع انفاس النسيم العليل متحولة الى اوراق من فضة ...
وتنسج الطبيعة المزركشة وتنقض في مصير واحد ،
ومن زخرف واحد دقيق ، زهر الربيع وآذان الجدي[1]

★

يا للاصباح كم تبدو غريبة حين نرى تحت سماءٍ رحيمة
عنصراً جديداً ينمو كما تحلو اجنحة الملاك .
ايها الثلج الابيض: يا كذبة التزيين ،انك تقدم خدعتك الزاهية
في مأدبة شهية ، كما تقدم الموت في قصيدة غزلية جديدة .

★

ايها الثلج الابيض هذه زهور « الاضاليا » المسودّة تتهاوى
صريعة ، تحت نفحاتك القاسية ، ولكن كقسوة اليام .
انت يا نعيم البلور المزيف ، وجنة العرافة ذات الاسنان
الحادة ، تبعث الفناء من خلالك الى الورود حاملاً زبد النبات
المسموم الابيض .

★

بالامس كان الصيف يضحك من خلال الف سمة متوانية ،
وكان الفجر المخضب بالكروم يلهب البيت ،
وكان هناك هذا الاستمرار الذابل لشمس متثاقلة
طالما ضمتكم جميعاً تحت جناح رحمتها : يا ايها الصيف ،
ويا ايتها الكرمة ، ويا ايها البيت .

★

ثم ، وفي فترة هذا التلاشي ، اذا بالشتاء ينطلق غيوراً
من اعتكافه ، وقد جاء ليفسد المهرجان ...
جاء في خطوات ذئب مرتدياً سلفاً جلد السمور الابيض .
كأنه القدر ، وقد حوّلت زفرته الزهرة اليانعة
الى زهرة من بلور .

★

وحسبه تعالى وهو الوحيد السموع ،دقيقة واحدة وصيحة واحدة
واذا كل من لم يفن دون مقاومة ينام تحت هذا الكفن الممتد .
سر خالد من هذه المآسي التي لا يراها او يسمع بها احد ،
تنام النفوس التي لا تجرؤ ابداً على الامل في الربيع ، في
حدادها الابيض .

(١) نوع من النبات البري



اليتيم

بقلم عبد الغفار مكاوي

*

في ليلة من ليالي وحدتي الطويلة هبطت الى «مصنعي». ومصنعي هذا منطقة قائمة في نفسي ، مجهولة لا يلمّ بها سواي . هي فلك صغير في ذاته ، لا يكف عن الحركة والدوران . تأتي عليه ليال يتلألأ فيها بالنجوم ، فأنتشي بفرحة غامرة مسكرة ، ثم لا يلبث ان يلفه الضباب ، ويصير كالسديم يتدثر بالغيوم . ومع انني لا أملك شيئاً من عبقرية « بيراندللو » ولا من فن « توفيق الحكيم » فقد قلت في نفسي : لأقض الليلة مع « مخلوقاتي » التي تعذبني منذ امد طويل . ومخلوقاتي هذه هي شخصيات قصصي المقبلة . وهي على تواضعها وشدة حيائها وخجلها لا تنفك تؤرق نومي ، وتعذب يقظتي ، وتطالبني بالحياة .

نفضت التراب المتراكم على كتبي ، وأدرت آلة « الجراموفون » ببضعة مقطوعات من الموسيقى التي تحبها نفسي ، ثم استويت جالساً امام مكتبي . كان رأسي يدور ، وقلبي يكاد ينشق من شدة الخفقان . والحق انني كلما التقيت بهذه الوجوه ، النحيلة الشاحبة تتملكني رعدة قاسية ، وتختلج كياني كله كالمحموم . وشخصياتي دائماً ما تكون ثائرة ساخطة ، وانا لذلك ألقاها بوجه باسم ، واستمع الى شكاواها بصدر رحب ، واتقبل همومها بقلب رحيم . ولا تخلو صحبتنا التي تزدحم فيها الوجوه ، وتتعالى الصيحات ، ويشتدُّ اللغط ، من واحد او اثنين يستولي عليهما الملل ، فيشقان طريقهما وسط الجمع الثائر ، ويمضيان في سبيلهما حانقين فلا أعود اراهما بعد ذلك ابداً . انا دائماً سجين هؤلاء الضيوف الاعزاء ، تنهال عليّ اتهاماتهم من كل جانب ، وتدوي صرخاتهم في اذنيّ ! ما اكثر ما انفجرت بالبكاء وانا احاول ان ابعدهم عني ، واسترحمهم ، واقسم لهم الايمان باني رجل طيب القلب لا اضمر لهم شراً ، فما يخلصني منهم الا النوم ، يعقد اجفاني ، ويريحني منهم الى حين .

في هذه الليلة التي هبطت فيها الى نفسي كنت اعاني من مرض طويل ، وكانت اعضائي ترتجف من الحمّى . درتُ بعينيّ في المكان ، ورأيت الوجوه الحزينة المكتئبة تحدق في وجهي ، والأذرع الطويلة تشير اليّ متوعدة . كانت من بينها وجوه واضحة القسمات ، متميزة المعالم ، أكاد ان مددت اليها يديّ ان ألمسها ، واحسب ابعادها . وكانت من بينها وجوه اخرى آثرت ان تنزوي في مكان بعيد عن الضوضاء ، لم تكد تحاول ان تلفتني اليها . كان بعضها قد ملّ الانتظار فجلس على الارض القرفصاء ، وانكبّ على قراءة كتاب قديم . وبعضها الآخر قنع بالتفرج على الجميع بعد ان يئس من ان يتقدم الصفوف ، ويصل اليّ ليبسط شكواه . من بين هذه الوجوه عرفت اناساً طالت صحبتي لهم ، وعمقت تجربتي معهم ، حتى لقد كانوا يشاركونني في طعامي ، ويلازمونني في نومي ويقظتي ، ولا يتركونني وحدي ولو ذهبت ألتمس نسمة من هواء على شاطىء النيل . وكنت لطول خبرتي بهم اعرف حياتهم بماضيها وحاضرها ومستقبلها ، بل انني لاعلم تماماً ما تهجس به خواطرهم . فاذا اضفت الى هذا انني انا الذي اخترت لهم ملابسهم ، ووضعتها بيدي على اجسادهم ، لما انكرت منهم ابتسامتهم الراضية التي يحيونني بها . ولكن من اصدقائي من يبدو العتب في اعينهم . الحق انني لا استطيع ان ادافع عن نفسي امامهم ، فهم قد صحبوني زمناً طويلاً ، واجتزنا معاً طرقات المدينة ، وتقاسمنا الجوع والشبع ثم... فجأة وعلى غير انتظار ، تخلوا عني واخذوا يتسكعون في الحارات والازقة الضيقة . ها انا اسمع واحداً منهم يصيح : كيف تقتلنا ايها السفاح ؟! فاذا ما حاولت ان اجيبه طرق اذنيّ همس خافت لشيخ عجوز غرقت لحيته في دموعه : أيرضيك ان تتركني في منتصف الطريق ؟.. وأهم بالكلام فيقاطعني : كيف تصنع لي ماضيا جميلا وتعجز عن ان تجد لي مستقبلا ؟! . فاذا حاولت ان اعتذر له بالنسيان ، وبأنني بشر على كل حال ، وان حياتي لا تسير متصلة كالخط المستقيم ، بل تمزقها لحظات المرض ، واليأس ، واكاد اقول — الحب ، حتى ينبري لي شاب كنت اعرف طيشه وتهوره ليقول : انني اخجل منك . لماذا لا تتركني وشأني ؟ ألا يكفيك انك حرمتني

قصة

من كل سعادة ، وقتلت حبيبتي قبـــل يوم الزفاف بساعات معدودة ؟! ...

طالما هممت بان اتحـدث ، وان ادافع عن نفسي مخلصاً ، وان ابيّن طيبة قلبي ، وسمـــاح نفسي ، وانني لا املك من اقدارهم شيئاً ، وانهم جميعاً قد ولدوا كما يولد ابناء آدم – في يد كل منهم لوح مكتوب – واني لو كنت استطيع لابعدت الموت عن طريقهم ، ومحوت الالم من حياتهم .

لم اكد احاول الدفاع عن نفسي حتى سمعت صيحة مبحوحة تحاول أن تجـــد لنفسها طريقاً بين الضجيج فلا تستطيع . ودققت النظر فوجدت صبياً صغيراً يشبُّ على قدميه ، ويحشر جسده النحيل المتهالك بين الصفوف المتراصة امامــه – فنهضت من عـلى كرسيّ ومددت اليه ذراعي وانا اصيح من فرط تأثري : « تعال ايها الصديق ... تعال ... اني في انتظارك .. كنت قد نسيتك .. »

واذا بي امام صبي ضئيل ، نحيل الجسد ، مصفرّ الوجـه ، عليه بقايا ثوب رخيص مرقّع . وعرفته في الحال . كان هو بعينه اليتيم الذي قضيت معه ليالي الاخيرة وانا احاول ان اجد له مكاناً بين الاحياء . صاح في وجهي من الغيظ : « هكذا نسيتني » .. !

قلت في اخلاص: لم انسك ياصديقي.. لم انسك ! واشرت الى بقية اصدقائي الذين يتطلعون الينا في دهشة .

– اذن فكيف تركتني اهيم وحدي في الطرقات ؟

فقلت وصدري يسعل سعالاً شديـداً : لا لم انسك . والله شاهد على ما اقول !

فصاح غاضباً وصوته يترقرق بالدموع : « بل تنكرت لي! » ثم التفت وراءه وتفحص الوجوه لحظة ثم قال: عفواً ! اني لست مثل هؤلاء . فما انا الا طفل يتيم . وضعت حياتي امانـــة بين يديك فهربت من وجهي .

فقلت وانا انظر اليه بعينين مفعمتين بالحنان : اقسم لك ان ليس فيهم من هو اعز علي منك . ولكنني ...

فقال وهو يطرق برأسه: ألست اولى من هؤلاء برعايتك ؟. هذا الامير الفرعوني الذي يتباهى باناقته ، ويضع يده على مقبض سيفه في خُيلاء .

فقلت مستنكراً : رويدك ... ولا تسيء الى هذا الضيف العزيز . اني اعلم مبلغ تهوره وطيشه ، وقد طالما حاولت ان اكفكف من غلوائه فلم افلح . تصور يا صديقي الصغير انـــه – ويا للعجب – يحاول ان يهدم الهرم الاكبر ! لا تندهش ! فهذا هو ما حدث . لقد تسلل ذات ليلة هو وجماعة من عبيده وحاشيته الغاضبين على خوفو الملك وصعدوا الى قمة الهرم وألقوا بعشرة احجار كبيرة من فوق قمته . يجب عليك ان تجـد لهم العذر ، فقد كان من رأيهم ان هذا البناء الجميل ليس الا رمزاً لذلّ اهل مصر .. وعبودية ...

فصاح الصبيّ اليتيم : ولكن ما لي انا ولهؤلاء .

فأجبته : أليس من حقه ان يعيش ايضاً ؟ ..

فقال : ان بيننا هوةً عميقة من الزمن..أربعة آلاف عام.. انا اولى منه بالحياة .. ألست أحيا معك في عصر واحد .. ولكنك تهرب الى الماضي السحيق تفتش فيه .. شأن الكتاب الخياليين .. المعتزلين ...

أردتُ ان أشرح له كيف ان مشكلات الروائيين خالدة.. وأنها لو جرت على ألسنة الأقدمين فهي تعبر عن مشاكلنا .. ولكنه كانقد التفت الى جاره المضحك وأخذ يشير اليه متهكماً:

– وهذا الأبله ؟ ! ماذا يعجبك فيه ؟ فقلت : لا .. لا .. إنك الآن تعتدي على ضيوفي .. في بيتي . قال متعجباً : هـــذا « البليا تشو » ؟ !

قلت : نعم ! البلياتشو ! الا تعرفه؟ لقد انتهيت من شأنه.. وعرفت مصيره .. ولم يبق الا ان يظهر على صفحات المجلة .. (لو تلطف صاحبها !) .. لا تسخر به .. فان كنت ترى هذه المساحيق على وجهه ، والطرطور الأحمر الطويل على رأسه ، وبذلته المرقعة الملونة فلا يمكن ان يخفى عليك ان في عينيـــه دموعاً .. ولولا انه شديد الحياء لبكي الآن !

فقال الصبي اليتيم : هل تنكر انه مخلوق يتسلى به الناس ؟ فقلت محاولاً ان استرضي صديقنا « البليا تشو » الذي همّ بأن يلطم الصبي على وجهه .. انت تعلم يا صديقي أنني ما قصدت به ان يضحك الناس ، ولا حتى ان يضحك عليهم . انظر ! ها هو مدير المسرح يختفي وراءه . لقد جعلته يهدده بالفصل اذا هو لم يضحك الجمهور كما كان يفعل كل ليلة ، ولكن صاحبنا البلياتشو لم يفد فيه الاقناع ولا الرجاء ، فقد أصرّ على ان يبكي المتفرجين. أليس هذا عجيباً ؟ ! واذا به يقف امام جمهور متواضـع من الفلاحين والفقراء ويعرض عليهم مأساة حياته . ولكنه كان كالدمية العاجزة فأخذوا يضحكون – أترى ؟ ثم إنه أراد ان يستعطفهم فعرض عليهم زوجته – ليعرفوا مبلغ نكده – ولكن موجات الضحك كانت تهدر في المسرح ، ولم ينجح في

ان يبكيهم حتى حين نادى اليه اطفاله الصغار - سبعة أطفال جياع - وعرضهم عليهم . كانوا يحسبون ان كل عنصر من عناصر مأساته لم يخلق الا ليزيد من غرابة المشهد - فلم ينقطع ضحكهم حتى هرول اليه مدير المسرح وضمه الى صدره فرحاً ليقول له قبل ان يسدل الستار : الم أقـــل لك يا صاحبي ؟ .. ألم اقل لك ..

فتقدم مني الصبي اليتيم وصوته يتهدج : ولكنني انا اولى منه بالحياة .. انا اولى منه .. اتسمع : انا أضيع منه شأناً .

فقلت اهدئه : «ولكنك لم ترو لي شيئاً..ماذا حدث لك»؟

- ان هذه « المخلوقات » جميعاً تنعم بحياة محدودة ، لها طرفان ثابتان . اما أنا فشيء هائم في شوارع القاهرة ، لا اسم له .. ولا عنوان .. ولا ماض .. و .

فقلت وانا أرفع حاجبيّ من الدهشة: « كيف حدث هذا.. كيف ؟ » - «هكذا وجدتني بين يديك..قلت لي كن يتيماً» .. اتذكر يوم لقيتني في ميدان «العتبة» المزدحم بالناس والعربات. لقد جريتُ وراءك باكياً .. وتشبثتُ بطرف ردائك وأنا أتوسل اليك ان تختم حياتي .. (أو تبدأها) .. ابتهلتُ اليك ان تريحني .. ان تلقي بي تحت عجلات الترام .. او تقذف بي تحت احدى العربات الأمريكية الفاخرة .. او حتى احدى العربات «الكارو» .. ولكنك أشحت بوجهك عني .. وقلتَ في استكبار: إن ضرورة الفن لا يمكن أن تسمح بهذا .. فجريت وراءك استعطفك باكياً .. حتى لقد التفت الينا جمع كبير من الناس كانوا ينتظرون « الاوتوبيس » ووصفوك بالذهول .. ولكنك انتهزتَ فرصة الزحام وركبت العربة وتركتني فاغراً فمي من الدهشة .. »

قلت في لهفة : حسن .. حسن .! أكمل .. أكمل ..

فتنهد الصبيُّ وقال : آه لو تركتني لأقع بين يدي البوليس! لكان ذلك أرحمَ بي ، وأكثر انسانية . أتذكر يوم كانت عربة البوليس التي تجمع الشحاذين والمتشردين وذوي العاهات من الشوارع واقفة عند سور «الأزبكية» ونزل منها رجلان أمسكا بتلابيب امرأة عجوز كانت ملقاةً على أرض الرصيف تستجدي عابري السبيل ؟ قذفوا بها إلى العربة وهي تصرخ بين ايديهم : أولادي! أولادي! فقلتُ مقاطعا : حقاً ؟! لقد نسيت كل هذا!! ..

فاستطرد قائلا : هنالك تضرعتُ اليك ان تتركني لأذهب معهم الى السجن .. او الى الملجأ .. او الى اي مكان .. ولكنك ناديتني قائلا لا تذهب .. هكذا كتب عليك ان تحيـــا .. ليتني ما أطعتك !!

فقلت للصبي : ولكن هذا المسلك من جانبي هو خير مـا يمكن اللجوء اليه .. أليس اوقع في النفس ان ازيد من شقائك ؟ لا تنس انك بهذا ستنال عطف الكثيرين » ..

- لا اريد هذا العطف !

- وربما سمع بك احد الحكام من الوزراء او ...

- وهل يقرأ الحكام قصصك ؟! ..

- اعترف لك يا صديقي انني اشك في ذلك !

- اذن فلم لا تتركني ؟

- لانـك سجين (وهنا اشرت الى بقية الوجوه التي يزداد شغفها بحديثنا قائلا : كهؤلاء !)

- اذن فأطلق سراحي .. اني اريد الحرية ... الحرية ... الحرية ...

- ولكني لا املك لك شيئاً .

- كيف ؟

- تستطيع ان تذهب بنفسك الى وزارة الشئون الاجتماعية ، او الى احد الملاجىء .. او

فأشار الى ملابسه .. والى قدميه العاريتين وقـــال في انكسار : أبهذه الهيئة ؟!

- صدقني يا عزيزي .. لو استطعت لبدلت حياتك كلها .. ولاشتريت لك بذلة جديدة .. ولوضعت في قدميك العاريتين حذاءً لامعاً ..

فتهلل وجهه بالأمل وهتف :

- وما يمنعك ؟

- وهكذا وجدتُك امامي .

وفي هذه اللحظة كان سعالي قد اشتد . وكانت الحمّى التي اعاني نوباتها منذ اسبوع قد ألحت عليَّ . فدارت رأسي وغامت عيناي .. وماجت الأصوات من حولي ، فاختلطت الصيحات العالية ، بالبكاء المكتوم والهمس الخافت ، وانطمست وجوه شخصياتي امام عينيَّ . عندئذ تمالكت نفسي وصحت بأعـــلى صوتي : « يا سيد » ! (وكان هذا هو اسم خادمي الأبله) « هات الدواء » .

وبعد ان شربت منه جرعتين ، قمت الى فراشي ، واغمضت عينيّ ، واستولى علي نوم عميق .

حدث هـــذا منذ اسبوع . وانا منذ ذلك اليوم أتذكر الصبي اليتيم .

وما زلت ابحث له عن مصير .

القاهرة - دار الكتب المصرية **عبد الغفار مكاوي**

المساكين



محمد فوزي العنتيل
من رابطة النهر الخالد

•

القاهرة

✳

عرايا الروح منهزمون .. في أعينهم ذعرُ ..!
من الماضي .. إلى الآتي .. طيورٌ مالها وكرُ ..!

★

من الماضي الذي قرّت أفاعيه .. وما قرّوا
إلى الآتي .. ودرب الغد في أعماقهم .. نهرُ
رهيب الموج .. كالخوف .. كئيب الشطّ مُغْبَرُّ

★

بوادي الموت ينتحبون .. في مقبرة الأمسِ
فإن عادوا .. فمن رمسٍ يعودون إلى رمس
خطىً شلاّء قيدّها .. عذاب الوهم والحس
وفي ايديهمو اللاشيء .. بين جوانب الكأس
وفي آذانهم لحن .. شقيٌّ غامض الجرس
وفي أعينهم ماذا ؟ سوى الحرمان .. واليأس ..!

★

رأيتهمو على سفن ... يحطّم صدرها البحرُ ..
بأجنحة ممزقة ... على الآفاق تنتحر
وليلٍ يكره الأنوار .. ليل .. ما له فجر

★

وأشباحٌ على الخلجان .. يصرخ حولها الشرُّ
تُفزّعهم إذا وقفوا .. وتبلعهم إذا مرّوا
وإعصارٌ من الاوهام .. يمضغهم إذا فرّوا ..!

★

يعيشون بأرواح .. تعانق ظلمة السجن
وأفئدة .. معذبة .. بنار الحب .. والفن
ينوحون مع الطير .. ويبكون مع الغصن
ويرتعشون كالأوراق .. في زوبعة الحزن
بأشواق مقدسة .. تضمّ مشاعر الكون

★

ولكنّ الذي وهبتْ .. يداه .. الخمر والقدحا
ومن طرّزَ للزهر .. وشاح العطر فانتشحا
أراق الليل في دمهم .. فما برحوا .. وما برحا .!
وحرّمَ كل ما ظمئوا إليه .. حرّم الفرحا ..!!

★

فهاموا في رؤى الأحلام .. في وادي الخيالاتِ
قياثرهم .. مروّعة .. شقيات الضراعات
يصوغون أغانيهم لآلهة الصبابات

★

وعادوا ظمأ يلهث في حلق المتاهات
وقد حملوا رفات الفجر .. مشنوق الشعاعات
وساروا في الدجى الذاهل .. في درب الردى العاتي
بجثة نوره الميّت .. في روح المفازات
ينغّمُ خطوهم لحن .. كموسيقى الجنازات !.

★

وعاشوا الموت أحياء .. أسارى .. مثل أموات
نهاية عمرهم .. وهمٌ .. تمزّقَ في البدايات
فهم أنصاف آلهة .. بلا ماضٍ .. ولا آتِ

فولتير رائد التفكير الحر

انني اخالف آراء روسو كل المخالفة ولكني مستعد للدفاع عنه في ابداء آرائه حتى الموت [فولتير]

بقلم الكاتب الانجليزي بريلز فورد

ترجمة يوسف عبد المسيح ثروة

✳

ولد الرجل الذي اتخذ لنفسه الاسم المستعار فولتير في باريس سنة ١٦٩٤ . فهذا الطفل الواهن الضعيف الذي لم يُتوقع له ان يعيش ، ناضل بشجاعته الخارقة ضد المرض العضال الذي حاق بجسمه الناحل من المهد ، واستمر في هذا النضال مدى اربع وثمانين سنة من الكد والعمل الشاق والحيوية الطافحة البهيجة . اما عائلته فقد برزت من الطبقة المتوسطة . غير ان أباه كان محامياً ناجحاً وكان من جملة عملائه اسرٌ نبيلة امثال (سولي) و (ريشيليو) . وقد فَقَدَ الطفل (فرانسوا – ماري ارو) والدته وهو لما يزل رضيعاً . ولكنه استمد العطف والحنان من اخته الكبرى ، ذلك لأن والده كان رجلاً قاسياً عاتياً وكانت اسرته هذه ميالة الى الجانسنية وهي نوع انموذجي من البروتستانية البيوريتانية التي عرفت بها الطبقة المتوسطة الناهضة بين اوساط الكاثوليك الفرنسيين . وكانت هذه النحلة ترتدي ألبسة محتشمة وتدرس الكتب المقدسة وتأنف من مسرات هذه الدنيا وغرورها ولكنها كانت تسعى مجاهدة مثابرة في الاعمال الحرة مع ان مثلها الأعلى كان يبرز جلياً في حياة الرهبنة ، هذه الحياة التي انتفض عليها الصبي في عمر مبكر . اما معلمه فكان الاب شاتونيف الذي كان شاعراً ومفكراً حراً .

ومن الغرابة بمكان ان اباه الجانسيني ارسله الى مدرسة طائفة الجيزويت (اليسوعيين) المعروفة المنافسة لطائفته وكانت هذه المدرسة تدعى بـ (كلية لويس العظيم) . فتثقف هناك ثقافة كلاسيكية ممتازة وعمل اساتذته الجيزويت جهدهم على تربية تذوقه للآداب الفرنسية والتاريخ الحديث .

ولم يشترك هذا الصبي الناضج قبل اوانه في الالعاب المعروفة وفضل على ذلك ان يماشي اساتذتــه مستعيضاً بهم عن مخالطة الصبيان الآخرين . ولكنه مع ذلك صادق البعض من هؤلاء صداقة احتفظ بالولاء لها طيلة حياته المديدة .

وفي اثناء مكثه في المدرسة نظم بعض المقاطع الشعرية اللطيفة التي كانت مثاراً للاعجاب في الاندية الادبية . وكان اول ما دعاه من دواعي الحياة هو الشعر . ولكن والده اصر عليه باتباع مشيئته واضطره الى ان يدرس القانون . وهذا ما جعله تلميذاً مكسالاً عيوفاً ، ومع هذا فلا بد انه قد حصل على نوع من المعرفة التجريبية التي اعانته كثيراً في حياته المتأخرة . اما محاولة القائه في خضم السلك الدبلوماسي فكانت خائبة كسابقتها . ومع هذا فقد أُلحق بالسفارة الفرنسية في لاهاي ولكنه أُعيد خجلان خزيان على عجل الى الوطن لأنه ارتبط ارتباطا غرامياً بسيدة صغيرة ذات صلة بعائلة منفية من (الهيكونوت) .

وبعد ان تخلص من القانون وصقل اشعاره فتش باحثا عن بيوت النبلاء الحماة في الريف فلاقى ترحاباً حاراً في (الهيكل) حيث كانت تعيش جماعة من المثقفين الطليقين الذين كان معظمهم من النبلاء والبعض من رجال الدين ولكنهم كانوا جميعاً من المفكرين الاحرار . ومع كل ذلك فان هذا الشاب لم يرتبك قط بين اوساط العظماء ، وقد اندفع في المساجلات الادبية التي كانت هذه الجماعة منغمرة فيها فساير الرياضة الشعبية في هجو الوصي على العرش التي كانت سائدة آنذاك .

والى سوء التصرف هذا يعزى سجنه في الباستيل سنة ١٧١٧ مع انه في الحقيقة لم ينظم الاشعار التي عزيت اليه . وكان يشاركه في القلعة الداكنة جماعة من خيرة الناس فاستغل الأحد عشر شهراً من الراحة التي امضاهـا هناك ليكتب مسودة ملحمته الاولى (هانريت) مكرساً اياها (لهنري الرابع) الذي كان

أوحد ملوك فرنسا في عظمته ، ولتسامحه ولينه . وقد تبدو هذه الملحمة تافهة للقارىء العصري ، الا انها كانت ضرباً من الشجاعة والتحدي لأنها استنكرت مجزرة (بارثولوميو) واثنت على سياسة الملكة (اليزابيت) ملكة الانكليز . وبعد اطلاق سراحه اكمل مأساته الاولى (اوديب) التي نجحت نجاحاً منقطع النظير على المسرح فجعلته في مقدمة ادباء الشباب في عصره .

واذا كان فولتير لا يزال محيا بين ظهرانينا فالفضل في ذلك يعود الى قصصه ومؤلفاته التاريخية . ولكن شهرته في عصره كانت تستند اساساً الى مآسيه الشعرية ، هذه المآسي التي نقرأها الآن بلا حماسة. وذلك لأنه كان ممثلا هاوياً ملماً بالتجارب الفنية وله معرفة بالخدع والحيل التي يقتضيها الفن المسرحي الكلاسيكي. ومع ان عقده كانت مثيرة الا ان محاوراته كانت جافة وعلى وتيرة واحدة مع ميل الى الابهة والمظاهر .

اما المواضيع فكان يستمدها بصورة رئيسية من التاريخ القديم والعصور الوسيطة وهي لا تعكس أية تجربة عاطفية مباشرة. وفي الحقيقة ان المقدمات تنبهنا الى ان فولتير كان يجلس الساعات الطوال ليكتب تمارين متعددة باسلوب فخم مزركش. ومع ذلك فان (اوديب) و (ميروب) و(زايير) و(تانكريد) وقد لاقت هذه الكتب رواجاً كبيراً في وقته وعدت من خيرة الكتب التي أظهرت فيها العبقرية الفرنسية المؤدبة تفوقاً على التراجيديين اليونانيين .

ولقد كان هذا العصر عصر الشعر بالذات الذي قاس نفسه على الأقدمين اعتباطاً . وقد اثارت هذه المسرحيات مشاعر النظارة الباريسيين حتى ان مديراً للشرطة شوهد وهو يبكي متأثراً من احد المناظر الشجية. ويشذ من كل هذه المسرحيات مسرحية (زايير) التي تعبر عن شعور حي بمعالجتها لآلام البيرووين الذين كانوا يسامون سوء العذاب تحت حكم المحتلين الاسبان . ولكن فولتير كان شديداً ومخلصاً دائماً في مهاجمته للجور والمظالم وسيبقى سلوكه مبهماً حتى ندرك شهرته كشاعر تراجيدي . وهو الذي جلب المجد لفرنسا وهذا ما جعله يتمتع بحصانة نسبية تجاه انواع التعذيب المميتة بالرغم من تهجماته، ولذا فقد احرقت كتبه ، ولكن من غير ان تناله النار شخصياً .

وذات مساء في احد الملاهي بينا كان الشاعر الشاب المشهور يتحدث الى صديقته (ادرين لوكوفريه) اذا بأحد الاروستوقراطيين يتهجم عليه ويقذفه بأقذى النعوت مشيراً بذلك الى سبب تغيير لقبه من (ارو) الى فولتير . ولما اعاد الشفاليه (روهان) الكرة في المساء الثاني اجابه فولتير اجابة قاطعة بقوله : « ان الاسم الذي احمله ليس عظيماً ولكني – على الأقل – اعرف كيف اجلب الشرف اليه » . وبعد مرور عدة ايام على ذلك اغراه الشفاليه واستدرجه الى الشارع من مائدة الدوق « دي سولي » فأشار على خدمه بضرب الشاعر ضرباً مبرحاً بلا رأفة ولا شفقة . فاستنجد فولتير بالشرطة وبالقضاء عبثاً لاحقاق حقه وانصافه من خصمه ، وذلك بتأثير نفوذ عائلة (روهان) الذي كان قوياً جداً. فما كان منه بعد كل ذلك الا ان يتحدى مهاجمه ويطلب مبارزته. وكان هذا سبباً مبرراً تذرعت به هذه العائلة لالقائه في سجن الباستيل . فكانت مدة مكثه الثانية في السجن قصيرة لأنه سمح له بمرسوم مرحمة نسبية ان يذهب منفياً الى انكلترا سنة ١٧٢٧ .

وكانت هذه الحادثة نقطة التحول في سيرة حياته . فادرك بثاقب بصيرته ما ينتظره حتى العباقرة من اهانات ونكبات في المجتمع الارستقراطي ، فهراوة روهان كرسته ليصبح مفكر ثورة الطبقة الوسطى. وقد كانت اقامته القصيرة التي بلغت ثلاث سنين في انكلترا مثيرة وسعيدة . فأجاد لغتنا وقرأ كثيراً واجتمع بنخبة الرجال في ذلك . اما انطباعاته فقد سجلها بعدئذ في كتاب صغير بديع بعنوان « الرسائل الفلسفية». وفيه عرّف اوربا بالثورة الفكرية التي انبثقت من اعماق لوك ونيوتن والجمعية الملكية . وهكذا اصبح فولتير اكثر نضجاً الا ان النكتة لم تبارحه قط وظل يتفادى « الوقار على انه داء » ومع هذا فانه خلف هيدونية (الهيكل) الطليقة المتحللة وراءه ليغدو ما كان يدعى في ذلك الوقت (بالفيلسوف) ولا زال كذلك حتى بهره المفهوم الجديد للكون على حسبانه نظاماً ذا اسباب ونتائج وهو يتبع في سيره قوانين معينة وعلى وفق قياسات رياضية محكمة.

وبالاختصار فانه من هذا الوقت فصاعداً عمل على نشر اكتشافات نيوتن مستخدماً اياها في نضاله ضد التعصب والخرافات ورسم صورة زاهية لانكلترا بعدثورة (الوك–الاحرار) مؤملاً من ذلك اثارة روح المنافسة في اوساط الطبقة الفرنسية الوسطى. والحق ان الحرية في انكلترا كانت تسير جنباً الى جنب مع النظام ، بعد كبح جماح الملكية وسيادة المناقشة الحرة في الشؤون العامة واخضاع الكنيسة الى السلطة الزمنية . وبذلك

انتعشت التجارة واحترم التجار كما أفسح في المجال للكفاءات والمؤهلات فعد نيوتن اعظم ابناء الانسانية طراً . ثم ان هذه الامة فرضت على نفسها الضرائب بعدل وانصاف ولم تنج منها حتى الطبقة الممتازة نفسها . ومما سره في هذه البلاد اشياء كثيرة من امثال (الكويكرز ـ الاخوان) (الذين كان يكنّ لهم احتراماً خاصاً) والتطعيم ضد الجدري وشكسبير (الذي وضعه في موضع العباقرة) ودرايدن وبوب .

اما اسلوب كتابه هذا فهو اسلوب سلس مسل . وتحت قناع هذه التسلية الرقيقة وضع فولتير الديناميت الفكري في اساس كيان المجتمع الفرنسي . وبعد ان انقضى اجل نفيه عاد مرة اخرى ليواجه حقائق الحياة في ظل الاستبداد والطغيان. فغدا مركز المشاحنات الادبية الصاخبة . وكانت فطنته سلاحه الوحيد ضد خصومه الذين سخّروا القانون للنيل منه والقضاء عليه. ومع ذلك فقد استمرت مسرحياته في الانتشار والذيوع ، ولكن الأيدي تداولت مؤلفاته الاخرى خفية وفي طبعات مهربة. وقد احرقت (الرسائل) الانكليزية علناً وعلى رؤوس الاشهاد .

وتخلصاً من سجن اشد وقعاً من الباستيل وافظع تأثيراً هرب فولتير سنة ١٧٣٤ الى « سيرى » على حدود اللورين . وهنا تبدأ فترة صداقة امتدت ست عشرة سنة مع احدى شهيرات عصرها وكانت تدعى (أملي دي شاتيليه) وكانت تشتغل في حقلي الفيزياء والفلك ، وقد نقلت الى لغتها مؤلفات نيوتن . ومع ذلك فان هذه المرأة كانت ذات عواطف حادة كما كانت غيورة يغلب عليها روح التملك ، على العكس من فولتير الذي كان ودوداً رقيقا ومحباً مخلصاً وقد عاشا معاً في « سيرى » بالرغم من وجود زوج المرأة في الدار نفسها .

وقد قام فولتير بتأثيث الدار وتزيينها ذلك لأنه اصبح في هذا الوقت غنياً ، فبالاضافة الى ارباحه من مؤلفاته ، شارك احد متعهدي الجيش وضارب في البورصة وقدم قروضاً بفائدة الى بعض امراء الالمان وعمل بهمة غير منقطعة ومثابرة رتيبة من مركز عزلته . ولكن المآسي لم تدعه هادئاً لأنها صُبت عليه من كل حدب وصوب فجعلته يتلوى من الألم في الفراش الا انه مع هذا لم ينقطع عن نظم الشعر حتى في حاله هذه ومن هذه الاشعار ما يعد احسن ما في الشعر الفرنسي من اغان غرامية .

وفي الوقت نفسه احتفظ بمراسلاته مع زملائه (الفلاسفة) في طول اوربا وعرضها . وهذه الرسائل الحية التي استنسخت وقرأت في الاندية الادبية كانت بمثابة سلاح قوي في الدعاية له. ولكن عمله الرئيسي كان ينصب على كتابة التاريخ. واول جهد قام به في هذا الحقل هو طبع كتابه (حياة شارل الثاني عشر) ملك السويد . وقد منعت الحكومة هذا الكتاب قبل فراره الى سيرى وكان هذا جهداً بارعاً في القصة . وفيه يبدو المؤلف بمظهر الاخلاقي الذي ينتزع من المجد رداءه الشفاف ويمزق ابهة الحرب كل ممزق .

وقد توصل الى مفاهيم جديدة على اثر محادثاته مع مدام دي شاتيليه في سيرى . فرأى عقلها العلمي في الكتب المعترف بها اجهاداً وضجراً واشياء غير معقولة فهي اما ان تكون مجرد اقاصيص عن الحروب والمعجزات وحياة القصور الملكية او تخيلات وتوهمات بخصوص تطبيق العناية الربانية كما يتصورها (بوسوييه). وهذا ما دعا ذهن فولتير ليطمح في جعل التاريخ اهلاً للعصر العلمي. اي انه يجب ان يربط بين الاسباب والنتائج وان يعالج حياة الانسان باكملها بما في ذلك الآداب والاختراعات والتجارة والسياسة، وبالاجمال ينبغي له ان يكون تاريخاً للنوع الانساني وسجلاً لتقدم الحضارة . وقد قام بأداء هذا الواجب ـ على ما فيه من نقص ـ بروح عالية ومثابرة تامة ولا نكران ان هذا الرجل العقلي جاهد في ان يكون منصفاً مع اعدائه حتى مع روما . ولكنه لم يفكر في وضع تفسير منطقي منسجم للعوامل المسببة للحركة في التاريخ . مع وجود بعض اللمحات التي تدل على بُعد النظر حين يؤكد على تأثير البواعث الاقتصادية .

واول مؤلفاته التاريخية والموسوم بـ (قرن لويس الرابع عشر) لا يزال يعد من المؤلفات الكلاسيكية في الادب الفرنسي. وفي الحقيقة لنا أن نعده اول مقالة بارزة في التاريخ منذ (تاسيتوس).اما مقالته (في عبقرية الامم وعاداتها) التي كتب مسودتها الاولى في «سيرى» فهي تمتاز بجرأتها وشمولها لأنها ليست الا تاريخاً عاماً للحضارة،وقد ضمنها تركيا والهند والصين واليابان بالاضافة الى اوربا . وهي و (كانديد) تعدان اعظم كتب فولتير واكثرها قوة وبأساً وشدة تأثير . ومع هذا فان تطور البحث العلمي جعلها غير ذات موضوع من وجهة النظر التاريخية ولكنها كانت ذات تأثير عظيم خلال عدة اجيال في تكوين الذهنية الحرة في اوربا . وكان لهذه الفكرة الفضل في توحيد

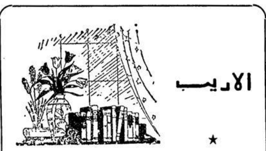
التاريخ الاوربي من عهد شارلمان الى عصره . وهذه الفكرة بالايجاز تعد هذا التاريخ نضالاً حامي الوطيس بين السلطتين الزمنية والكنسية . وعلى خطورة هذا الايجاز فانه اعانه في كتابته ضد (الثيوقراسية ــ الحكومة الدينية) وذلك بقال اثار باسلوبه واخلاصه واطلاعه اهتمام الادباء فوضعوه في مكان الصدارة اللائقة به بين صفوف الادب العالمي العظيم .

وقصصه ــ لولا بعض الالتفاتات الى التقدم العلمي والفني ــ تؤكد هي بدورها على وصف المظالم والجور والاضطهادات والاختلافات والانشقاقات والحروب التي (اوحت) بها الفرق المتعصبة، وكان غرضه من ذلك هو فضح الخرافة في سيرها العملي (وكشف كل ما هو مستور مبرقع منها) . اما الاهداف الايجابية من عمله في هذه المؤلفات التاريخية ــ مع ما يعتمد عليه من مصادر فنية ــ فتوجز في استخدامه للاسلوب القصصي قصد التوكيد على القيم الاخلاقية التي ندعوها (الآن) بالافكار الحرة وكان يقوم بذلك بالتعرض للشخصيات المعروفة وابداء رأيه فيهم، فتراه ينزل قسطنطين وشارلمان عن عرشيها بسبب ما عرف بهم من قسوة ووحشية في الوقت الذي نراه يرفع من قدر الملك (الفريد) والبابا الكسندر الثالث الذي حرر الرقيق . كما انه لا يستنكف عن تخصيص صفحة كاملة للتحدث عن مكتشف (لكونه حفر ترعة او قناة في حين يقوم الآخرون بتدمير الارض واهلاك الحرث والنسل) . وكانت وجهة نظره في كل ذلك كونية شاملة فنشاهده مثلاً يشط عن طريقته المرسومة ليمدح اميراً صالحاً ولو أنه كان عدواً لفرنسا ، بينا هو يفضح بحزم وقوة الانانية الوطنية التي كان يمثلها ريشيليو ولويس الرابع عشر ويبحث جاداً عن ابطال العلم الشهداء لتقديس ذكراهم

وعلى هذا فان عصر لويس الرابع عشر لم يكن عظيماً لشيء غير شروعه في تأسيس (الجمعية الملكية) واختتامه بدائرة المعارف الفرنسية . ثم نجده لا يقتصر على ذلك فحسب بل يمضي قدماً في مهاجمة الاستعمار والاستغلال والحرب والثناء على التجارة والعمل على استتباب السلم والاخوة بين البشر .

ومن المميزات البارزة في هذا الانسان الحساس اللطيف هو انه يرتفع الى الذروة في بلاغته وحكمته عندما يستنكر القساوة والظلم سواء اكان ضحايا ذلك من البشر ام الحيوان ام الهنود ام المسيحيين ... ولكنه مع ذلك كله يشيد بالقانون الانكليزي ويجعله المثل الأعلى الذي ينبغي احتذاؤه والنسج

الاديب



★

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدماً وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسوريا : ١٢ ليرة

في الخارج : جنيه ونصف أو ٦ دولارات ونصف

في الولايات المتحدة ١٠ دولارات في الارجنتين ١٠٠ ريال

اشتراك الانصار :

في لبنان وسوريا : ١٢٠ ليرة كحد اعلى

في الخارج : ١٤ جنيهاً او ٦٠ دولار كحد اعلى

★

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

★

ادارة الاديب : باب ادريس ، شارع الكبوشية

تليفون : الادارة ٩٢/٤٧ Direct : 92 - 47 — المنزل ٤٨/٣٧ Dele, : 48 - 37 Tél.

★

صاحب المجلة ورئيس تحريرها : ألبير أديب

سكرتير تحرير مكتب القاهرة: محمد يوسف نجم

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ــ صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت ــ لبنان

على منواله. ومع نضاله المرير القاسي تجاه الامتيازات الارستقراطية فقد وضع بعض القيود امام تحرير الانسانية النهائي. فناظر بقلق بيّن ودافع عن اللامساواة الاقتصادية حاسباً اياها الأساس في سعادة المجتمع ورخائه. فينبغي ان يظل العمال اليدويون فقراء ولكن ليس ضرورياً ان يبقوا تعساء ومن رأيه تعليم العمال المهرة وترك غير المهرة منهم بغير ذلك. وفي هذا نلاحظ عقلية الطبقة المتوسطة الناهضة بانسانيتها المحدودة. وقد عبرت هذه الكتب خير تعبير عن حياة فولتير الحقيقية خلال هذه المدة المبدعة في «سيري». غير ان هذا الرجل المتفتق الذهن كان بطيئاً في ادراك منزلته الحقيقية في المجتمع كقائد للمعارضة المناضلة المجاهدة لاثبات حقها في الوجود ذلك بأنه كان يطمح في المراتب المريحة ذات الجاه والقيمة وكان يملأ الملاهي بالجموع المتحمسة ويسطع في البلاط بلباقته ويسحر الملوك كلهم الا ملكه.

ولعدة سنين تردد في هذا السبيل وقد حاول الكثيرون مصالحته مع بلاط لويس الخامس عشر ولكن سوء التصرف كان يدفعه دائماً الى الفرار... واخيراً اصبح وصيفاً في القصر ثم المؤرخ الملكي الخاص. ومن حسن حظ الادب انه لم يلبث طويلاً حتى نفي مرة اخرى. وفي هذه الاثناء حدثت مشادة بين المركيزة دي شاتيليه التي ارادت منه ان يبقى في الوطن وبين فريدريك ملك بروسيا الذي كان يحاول «اجتثاث رجال فرنسا العظام من اماكنهم». وفريدريك هذا كان (فيلسوفاً) وشاعراً احتذى مثال فولتير واقتدى به ولم يكن ثمة ما يدعو الى التعجب في الصداقة التي بدأت بواسطة المراسلة بين الطالب الملكي وسيده. فعقدت ثلاثة اجتماعات ادت الى توطيد التقارب المتبادل. وفي النهاية وبالرغم من ارادة المركيزة الحسود زار فولتير ولمدة اربعة اشهر البلاط البروسي فنظمت المهرجانات والاعياد اكراماً له، ومثل الامراء والاميرات مسرحياته ولكنه خاب في تحقيق المهمة شبه الرسمية التي عهد بها اليه البلاط الفرنسي.

ثم فترت الالفة التي كانت بينه وبين المركيزة فتحولت الى صداقة مخلصة. وفي اثناء وجوده في المنفى في بلاط اللورين سقطت المركيزة في شباك حب احد الضباط الشبان اللامعين فحملت منه طفلاً، وهذا العمل الشائن اثار غيرة فولتير فحز في قلبه وآلمه ايلاما مفجعاً الا انه تناسى ذلك، والدليل على هذا هو وقوفه الى جانبها حتى النهاية المرعبة. وقبل ان تلد المركيزة بساعات قلائل انهت ترجمتها لنيوتن وبعد عشرة ايام توفيت وتركته وحيداً. وهكذا انتهت سنة ١٧٤٩ صداقة قدمت الى فولتير ستة عشر عاماً من السعادة الحافلة في صومعة سيرى.

وبعد ان مكث مدة قصيرة في باريس هاجر منها الى بلاط فريدريك سنة ١٧٥٠ وسارت الامور هناك هينة لينة لأمد قصير وهكذا أفسح في المجال له لتصحيح اشعار الملك التي نظمها بالفرنسية واشترك في كل مساء في المناقشات «الفلسفية» التي كانت تدور على الموائد، غير ان النميمة لم تلبث ان شرعت في الدس للفصل بينه وبين الملك ولم يمض وقت طويل على ذلك حتى تورط فولتير في احد التصرفات العلنية السيئة التي ضحت بكرامته. ومؤدى ذلك انه استخدم عميلاً يهودياً يدعى «هرش» في احدى المضاربات غير اللائقة. فاتهمه بالاحتيال وقدم ضده دعوى في المحاكم ولكن اعلانها اثار اشمئزاز فريدريك كما كان ذلك متوقعاً منه غير ان المصالحة اعقبت ذلك بعد مدة وجيزة، الا ان نزاعاً شديداً لم يلبث ان وقع بعد هذا آجلاً.

ويعود سبب ذلك الى ان عالماً فرنسياً يدعى «موبرتو» وهو الشخص الذي عينه فريدريك رئيساً للاكاديمية عامل احد اعضاء الاكاديمية المدعو «كونغ» معاملة قاسية واساء اليه اساءة بالغة. وموجز القضية هو ان كونغ نقد في بحث علمي وباسلوب مؤدب احد اكتشافات موبرتو وقد اعتمد في نقده هذا على رسالة لـ «ليبنتز» كان يحتفظ بنسخة منها. ولسبب معقول اضطر كونغ الى الامتناع عن اظهار هذه النسخة ولكن موبرتو فصل كونغ من الاكاديمية بتهمة الانتحال. فما كان من فولتير صديق كونغ الا أن سرد القصة بكل هدوء ولكن بتأثير فتال في رسالة مكشوفة. الا ان فريدريك ايد رئيس الاكاديمية في كراسة مكشوفة ايضاً وهكذا وجد فولتير في النهاية عدواً اهلاً ليراعه فرد عليه في رسالة من رسائله التقريعية الشهيرة القتالة التي لم يكتب مثلها من قبل تحت عنوان «هجاء الدكتور اكاكيا». وليس ثمة ما يضارعها في الادب بسخريتها ومرحها غير رسالة كتبها «دي كوينزي» بعنوان «مقالة في جريمة قتل» ومع ان السخرية كانت على حساب موبرتو المتعجرف الا ان فريدريك شعر بالاهانة التي وجهت اليه لأن فولتير تجرأ ان يطبع هذه الرسالة في المطابع الملكية.

وطبيعي ان يكون مثل هذا النزاع غير قابل للاصلاح.

وبعد محاولات غير مجدية للمصالحة النصفية اصر فولتير على ترك بوتسدام . وهذا ما فعله ، وعند وصوله الى فرانكفورت ألقي القبض عليه مع ان ملك بروسيا لم يكن له حق السيادة على هذه (المدينة الحرة) . فحجز مع ابنة اخته في موقف غير لائق لمدة ستة اسابيع (وكان ذلك في سنة ١٧٥٣) . وقد برر فريدريك هذه الفعلة النكراء باصراره على اعادة مجلد من اشعاره سبق له ان اهداه الى فولتير .

وبعد انقضاء عدة سنوات استأنف فولتير مراسلاته مع الملك (الفيلسوف) الذي اخذ نجمه بالافول وقد اظهر الملك بدوره شهامة مقابلة باقامة الصلوات في طول البلاد وعرضها عند سماعه بوفاة فولتير العجوز وكان هذا هو التكريم الوحيد الذي ناله على سبيل الذكرى . ولعامين بعد هذه المخاطرة عاش فولتير حياة تجوال في مدن المانية متعددة قرب الحدود الفرنسية أملاً منه ان يقوم اصدقاؤه في البلاط وخصوصاً مدام (دي بومبادور) بفتح الطريق له الى باريس . ولكن الرجل البليد – لويس الخامس عشر – اصر على عناده بامتناعه وتصلبه خشية هذا الرجل العبقري الخطر .

ومن هنا فصاعداً ادار فولتير ظهره للقصور الملكية . ولما كان مأخوذاً بجمال جنيف قرر ان يستقر هناك بعد ان اشترى (فيلا) ليقضي فيها (ايامه الاخيرة) غير ان هذه الايام طالت حتى بلغت ثلاثاً وعشرين سنة . وكانت هذه المدة من اسعد ايام حياته لانه اصبح رجلاً جديداً في هذا الجو من الحرية والطمأنينة والهدوء . ثم اشترى مقاطعة في (فيرني) على الارض الفرنسية مباشرة بالقرب من مشارف جنيف سنة ١٧٥٥ واصبح بذلك مزارعاً متحمساً لعمله . وهكذا كـ (كانديد) انهى مخابراته واستقر (ليزرع حديقته) وهذا ما اكتشفه على انه (حياة) الانسان الحقيقية وغدت الفضيلة تعني في نظره زراعة الاشجار وجني الثمار وغلبة المحراث على وعورة الارض فادرك الان عن كثب المآسي التي يتجرعها الفلاحون الفرنسيون فوطن العزم بما عرف به من حماسة على التخفيف عن كواهلهم بادئاً بفلاحي مزرعته ناظراً الى الامام قدماً . فاحرز بعض النجاح المحلي لتخفيف وطأة الضرائب ولكنه عجز في هجومه لتحطيم الاقطاعية .

وبنتيجة تجربته هذه اصدر كراسه (الرجل ذو الاربعين تاجاً) سنة ١٧٧٦ وهذا الكتاب يتألف من قصة وحوار وفيه يشرح المؤلف استغلال الفلاحين ، فغدا هذا الكراس مرجع الجيل الذي صنع الثورة . وفي الوقت نفسه كانت جنيف في هياج وغليان وهذا ما جعله يستقبل في مقاطعته مئة من عوائل المهاجرين من الحزب الشعبي، وكان البعض من هؤلاء من مهرة صناع الساعات . فبنى لهم المنازل وقام بتمويلهم واعانتهم ولم يكتف بذلك بل ربح لهم سوقاً بين اوساط اصدقائه في اوربا كلها كما زرع للاخرين اشجار التوت وشرع في صناعة الحرير ... وهكذا كان هذا الرجل يقضي ايامه كأب محبوب لهذه (المستعمرة) النشيطة. اما ابنة اخته فكانت تعنى بشؤون البيت وترضي ابنته المتبناة بما يسر اشواقه (الابوية) . وكان السيل الجارف من الاصدقاء والزوار والمعروفين يسلونه في وحدته ؛ كما ان قضية لا تقل انسانية عن ذلك شغلت حيزاً كبيراً من حياته في اعوامه المتأخرة . ومرد ذلك ان رجلاً فرنسياً بروتسطانياً يدعى (جين كلاس) قضي عليه بالموت سنة ١٧٦٣ (في تولوز) بعد ان عُذّب تعذيباً وحشياً،وكقضية (دريفوس) كان مقدراً لهذه القضية ان تلعب دوراً حاسماً في تقرير الصلات بين الكنيسة والدولة في فرنسا . وقد اتهم كلاس بقتل ابنه لمنعه من الالتحاق بالكنيسة الكاثوليكية .

وكان المعتقد عموما بان الهيكونوت ملزمون في مثل هـذه الحالات بقتـل ابنائهم . وفي الحقيقة ان الشاب لم يفكر في الارتداد عن مذهبه وانـه انما شنق نفسه يائساً لانه لم يجد مجالاً لائقاً بعمله ولا سبيلاً لاظهار مواهبه لانه لا يسمح للبروتستانت بالدخول في اي وظيفة . ولم يكن من المعقول لا نفسياً ولا عمليا ان يقوم كالاس العجوز بشنق ابنـه الشاب في عنفوان حياته . ولكن تولوز التي كانت تحتفل سنوياً بذبح أربعـة آلاف بروتستانتي سنة ١٥٦٢ كانت معقلاً حصيناً من معاقـل التعصب الذميم . وقـد دفن رجال الكنيسة كالاس الصغير كشهيد .

وبعد محاكمة صورية حكم على كالاس العجوز بالموت كقاتل فعذب عـلى آلة التعذيب بالماء ثم عرض جسده نصف العاري قدام الكاتدرائية ثم شدت اعضاؤه المتكسرة عـلى عجلة وبعد ان شهّر به مـدة ساعتين قصد الفرجة القي به اخيراً الى ألسنة النيران الملتهبة . وقد وصلت انباء هذه القصة المثيرة الى مسامع فولتير بواسطة بعض الاصدقاء البروتسطانت المتنفذين . فاعمل فكره بهدوء وانتظر الى ان استنطق بعض اعضاء عائلة كالاس الباقين على قيد الحياة ثم محص اقوالهم وقابلها بعـد ان راسل قادة رجال الكنيسة . وحالما اعتقد ببراءة الرجل وضع جانباً مشاغله كلهـا ومصالحه وكرس ثلاث سنين (من حياته) لاستخلاص حكم من فرنسا الكاثوليكية برد مقام الرجل وشرفه اليه . وقد صرف ماله بسخاء وجمع اكثر من ذلك من اصدقائه . واقام باريس واقعدها بالاتصالات المتواصلة مع انـه كان نفسه منفياً لم يجرؤ على التقرب من العاصمـة مستخدماً بذلك قلمه البارع وموجهاً اقلام الحزب الفلسفي باجمعـه في محاولة الدعاية ــ التي وان كانت مقيدة ــ الا انها كانت مقنعة .

وبعد انقضاء ثلاثة اعوام نجح نجاحا كاسحاً على هذه الفضيحة فحصل قراراً باجماع اراء اعضاء محكمة الاستئناف يعـد جين كالاس وعائلته ابرياء من التهمة التي اسندت اليهم . ولم تكن هذه القضية الوحيدة التي نالت عطفه وتأييده . فقليل من الرجال في اي عمر كان خدم العدالة بمثل هذه الحماسة . فهو قـد انقذ بروتسطانياً آخر يدعى سرفين اتهم بالجريمة نفسها وتحت الاحوال نفسها . ولم ينل ضحايا التعصب وحدهم مساعدته وعونه بل تعدى ذلك حتى الى قضايا الجرائم الاعتيادية فانقـذ مثلاً حياة مدام (مونت بيليه) التي كادت تذهب ضحية بـلا سبب معقول .

وكان آخر مـا ارتضاه لحياته المديدة هو اعادة شرف الجندي الباسل (لالي) . غير انـه خاب في محاولته لتخليص حياة الاميرال (بنج) الذي شاهد (كانديد) تنفيذ حكم الموت فيه في بلايموث .

ثم انه خلص عدداً آخر من البروتسطانت المحكومين بالسجن لعقائدهم . ولكنه مـع كل ذلك خاب خيبة مريرة في قضية مؤلمة مؤداها ان ثلاثة من الشبان اتهموا بلا اي دليل باهانة الصليب (في ابفيل) ومع ان التعذيب لم يستخلص اي اعتراف من الشفاليه « دي لابار » الا ان رأسه جُزّ علناً وقد القي « بالمعلم الفلسفي » مع الرأس الى أتون النار . في هذا الوقت عينه حامت في رسائل فولتير وفي اوساط اصدقائـه شعارات نضالية ومنها : اقطعوا دابر الفضيحة المجنونة . فما هذا الشيء المعيب الذي عمل على اجتثاثه ؟ أكان ذلك هو الدين الميتافيزيقي ؟ ام الكنيسة الكاثوليكية ؟ ام التعصب ؟ ان ذلك الشيء كان يتمثل في السلطة الوحشية الخرقاء التي حطمت الهيكونوت ومزقت كالاس عـلى العجلة ولعبت برأس دي لابار بين ألسنة اللهيب هذه القوة التي اشعلت النـار بالكتب ودفعت بكل مفكر حر الى الحـذر غير المحتمل والمراوغة والمداهنة .

والظاهر ان ما عناه من ذلك هو تلك القوة القاهرة التي كان رجال الكنيسة يتمتعون بها فاقسم ان ينزع منهم هذا السلاح مهما كانت الاحوال . وفي كتابين من كتبه اللذين كان لهما اوسع الانتشار واكبر التأثير اخذ على عاتقه تحقيق هذا الواجب بكل صراحة ومن غير اللجوء الى الاقنعة التلميحية والاشارات الواخزة . وكان اول هذين الكتابين هو « مقالة في التسامح » سنة ١٧٧٣ وقد انبثق هـذا الكتاب بصورة مباشرة من قضية كالاس . فبعـد حديثه المؤثر عن سير القضية نراه يوسع نطاق مناظرته فيجعلهـا نداء عاماً في سبيل التسامح . فيفضح حمق ووحشية اضطهاد الهيكونوت وينهي كتابه بايجاز فكرته العامة التي اصبحت مثلاً للتفكير العالمي السليم في فرنسا ، واذا ما ادرك الناس بان الافكار المتحجرة لم تعـد مجدية وان الاخلاق الاجتماعية هي ما ينبغي ان نهتم بها ونقدرها حق قدرها فعندها يصبح في الامكان الاخاء . وثاني هذين الكتابين هو « المعجم الفلسفي » الذي نشر سنة ١٧٦٤ وهو مقالات موجزة متنوعة تعالج اكثر الموضوعات انتشاراً في اللاهوت والمناظرات

السياسية . وقد اصبحت هذه المقالات مرجعاً لاحرار الفرنسيين مدى قرن لانها اعلنت بجرأة الحرب على المعجزات وحللت بصراحة الكتابات العبرانية فوضعت امامنا مشكلة معروفة — فالعقل يصر على ان هذه القصص العبرانية لا يمكن الوثوق منها ولا التصديق بها .

اما اذا قبلناها بفعل الايمان فذلك لا يعني غير الرضوخ لقوة اعتباطية حسب . ولم يألُ فولتير جهداً في تناول هذه الموضوعات وقتلها بحثا ودراسة واستقصاء . فتراه يعمل ما في وسعه لدراستها في « مقالته » التأريخية وتراه وقد سهلها حتى تكون في متناول ذهن القارىء الاعتيادي في « المعجم » وعدد لا يحصى من الكراسات الاخرى . وكان هذا هو المطلب الرئيسي لتحرير الذهن البشري وقد ادى بذلك خدمة لا مثيل لها في سبيل تقدم الانسانية وازدهارها . واذا كان جيلنا الحالي يقلل من اهمية ذلك فلأننا ولدنا في عالم انتفت فيه هذه الاشياء المشينة .

اما معتقدات فولتير فقد أصابها بعض التغيير والتحوير والنماء ومع انه كان من المؤمنين بالله الا انه كان يعتقد «بالدين الطبيعي» وهي عقيدة تؤكد على الاخلاق الاجتماعية « الفاضلة » وتعدها اساساً للبشر كلهم في الاجيال كلها. ولعنة التاريخ — كما يتصورها — كانت تتمثل في الميتافيزيقية « التي تطلب من الناس الايمان قبل ان تطلب منهم العدل والانصاف » . كذلك نجده في كتاباته المبكرة يؤمن بإله يعده العلة الاولى في خلق هذا الكون وهذا ما يجعله موضع الاجلال والتقديس كما انه يصر على فصل الاخلاق عن الدين ولكننا نجده بعد ذلك يطور فكرة الضمير ويعزو الى الله كونه خلق في اذهان الناس احكاماً أخلاقية غريزية .

ثم بدأ بعد الزلزال الذي حدث في «لشبونه» والذي يصوره في « كانديد » يدرك بأن ثمة سراً في الكون لا يمكن التغلغل فيه اما ايمانه بالله فاصبح في سنواته الاخيرة اكثر شمولاً من اعتقاده به كخالق وعلة الوجود بل هو الخير بذاته وتغدو صلته بالبشر صلة مباشرة فيجزي المحسنين ويعاقب المسيئين في هذه الحياة اما كيف يكون ذلك فأمر لا قبل لنا بمعرفته. ومصدر هذا التغيير في الايمان يعود الى الشك في قدرة الاخلاق في دعم كيان المجتمع بغير الاستناد الى العون الالهي .

واقبلت النهاية في ساعة انتصار عاقتها الاحوال كثيراً وذلك قبل ان يصيب الوهن قواه العقلية وكانت تحدوه رغبة غير منجزة في فيرني وهي رؤية باريس مرة ثانية . لقد مات لويس الخامس عشر وعلى هذا اصبحت الطريق مفتوحة امامه ولذلك شد الرحال الى باريس سنة ١٧٧٨ لمشاهدة مسرحيته « ايرين » وكان نصره نصراً رائعا حيث تدفقت الطبقة المثقفة برمتها لاستقباله واداء فروض التكريم له والاحتفاء به فاقيمت المهرجانات والحفلات على شرفه في « الملهى الكبير » واحتشدت الجماهير في الشوارع لتحية منقذ اولاد كالاس وسيرفن كما استقبله « البناؤون الاحرار » ونصبته الاكاديمية رئيسا لها بالوكالة وكل هذا كان اكثر مما يطيقه جسم طاعن في السن اعتاد على هدوء « الألب » وسكينته .

وفي محاولة اخيرة له لانهاء واجب اسند اليه في الاكاديمية اتعب نفسه (كثيراً) فانهارت قواه . وقد كان يخشى النهاية التي قررتها الكنيسة للهراطقة — اي ان يدفن كالكلب في اي حفرة كانت وهذا ما جرى لصديقته « ادرين لوكوفريه » ولذا أراد المصالحة بقبوله الاعتراف النهائي ولكن قساً متعنتاً اصر على ان يتنكر « لاخطائه » السابقة فما كان منه الا ان رفض ذلك بإباء وشمم . فدفن من غير القيام بالاحتفالات اللائقة به في قبر مجهول في الريف . ومضت على الثورة ثلاثة عشر عاماً الى ان اقرت بأبيها الروحي . فنقلت رفاته الى باريس ودفن في « البانثيون » وكان على رأس الموكب ابنتا جين كالاس وقد توقف الموكب العظيم امام ما تبقى من آثار الباستيل للقيام باداء واجب التكريم الى احد سجنائه السابقين .

ولربما كان هذا الرجل اعظم كاتب في الادب على مدى الاجيال والدهور وهو بالاضافة الى عظمته هذه كان يمتاز بنشاط منقطع النظير . وعلى كثرة اخطائه ومعايبه فان قليلاً من القديسين يضارعه في سجل التاريخ لما قام به من خدمات جلى للانسانية بلا مقابل . وهكذا يمكننا ان ننهي قصته بما كتب على جدثه بالقرب من الباستيل « انه جعلنا مستعدين للحرية » .

بعقوبة — العراق — يوسف عبد المسيح ثروة

أطفال القرية

كنا في الليل على البيدرْ — وجناح الليل بأيدينـا
و « لبيبـة » تسرد رحلتها — لأخيها الساكن « إدفينا[١] »
ونقيق الضفدع في السمع — وهديـل حمـام الأبراجِ
موسيقى بين جوانحنـا — تهتز مع الليـل الساجي
همسَتْ في صوت لوّنـه — فرح الأطيار على الشجره :
« العيد صباح « الاثنين » — إني للعيـد لمنتظـره
سأطوف،أطوف مع الركب — لنهنىء حكام البلـده
فأبي في العيـد سيصحبني — أوَ ليس أبي عم العمده ؟ !
وأخي سيجيء ويمنحـني — ثوبـاً في لون البرسيم
وفطيراً يصنع في «البندر[٢]» — والتمر، التمر الابريمي[٣] »
فتجعـد وجـه محتقن — وتململ فوق الأوراقِ
هو « عيسى » يتيم نعرفـه — هو « عيسى » ربيب الحلاّقِ
قـد فر ليخفي دمعتـه — والليل .. كهمس الغريـد
فضحكنا منه ... ورجعنا — لحديث « لبيبة » في العيـد

القاهرة

كمال نشأت
من رابطة النهر الخالد

---

(١) قرية مصرية ..
(٢) المدينة بلغة الريف المصري
(٣) « التمر الابريمي » نوع من البلح الجاف .

قطار الجنوب

بقلم محمد روزنامجي

*

المساء والليل ينثر ظلاله الخفيفة الباهتة ، والمحطة الكبيرة والزحمة الخانقة، والقطار السريع يزعق بين حين وآخر. وجمهور الراكبين يركضون هنا وهناك ، والوجوه وقد لونها القلق تطل من نوافذ العربات ، والحمالون والامتعة ، ينزلون ويصعدون . العربات مزدحمة ازدحاماً فظيعاً ، الباعة يتصايحون في لغط غريب :

– بيبسي كولا .. كوكا كولا .. باردة .. باردة .. جاي تازة .. جاي تازة .. جاي !

وما زال الناس يتكدسون في عربات الدرجة الثالثة . القطار السريع يزعق زعقته الأخيرة ... جك ، جاك . جك ، جاك . جك ، جاك ...

وسار القطار ، واسرع في سيره، رويداً رويداً ، والوجوه المودعة يعلوها ابتسام باهت ، ومعالم المحطة الكبيرة بدأت تختفي منظراً بعد منظر ، وظلال الليل تعتم شيئاً فشيئاً ، والشمس تختفي وراء الأفق ، وخيوطها الذهبية تتناثر حمراء دامية ، تمتصها الظلمة القاتمة .

– جك ، جاك .. جك ، جاك ، جك ، جاك .

دوي العجلات الرتيب يدق في أذنيه ، وغبار خفيف يتناثر من نوافذ العربات ... والقطار يسرع في سيره ، والعربات مزدحمة خانقة ، ورائحة كريهة تتصاعد الى الأنوف ، وطفل يزعق باكياً ، والأم تحاول أن تسكته فتلقمه ثديها اليابس المتهدل .

وبدأ يشعر بوحشة ، وحشة غريبة ، وصاحبه صامت يفكر .

– ماذا بك ؟ إنك ساهم ؟!

– ساهم ؟. واغتصب ابتسامة باهتة :

– مجرد وحشة .. وحشة غريبة ! شيء مبهم يدور في نفسي ... أعماقي !

ولغط المسافرين يتصاعد بصخب غير مفهوم ، وظل يمد رأسه من النافذة ، ويتطاول بعنقه ، ويحاول أن يمد بصره ، ليرى ولو ثمة اشباحاً وخطوطاً . ويعود لنفسه يسترجع معالم المحطة الكبيرة: البائعون ، الحمالون ، الأمتعة ، والناس الذين يروحون ويجيئون ، والوجوه التي كانت تحدثه منذ حين . ويظل يمد رأسه ، ويتطاول بعنقه . ولكن ليس هناك إلا الظلمة المعتمة تخيم على كل شيء ، ليس هناك إلا الظلام !

ما أغرب هذا ؟ غريب ؟ كل شيء يضمحل ويتلاشى إلا الصور التي تمرع في رأسه ، إلا الأحاديث والضحكات تطن في أذنيه كأنما تنبعث من أعماق الاعماق . منذ حين كانت الوجوه تملأ عينيه . المحطة الكبيرة ، البائعون ، الحمالون ، الامتعة ، المودعون والأضواء التي تشع متلألئة . منذ حين كان كل شيء يملأ عينيه . والآن ؟! الآن ... ليس هناك إلا الظلام المبهم ! إلا الخيالات تملأ رأسه ، والاصوات البعيدة تطن في أذنيه :

– ما اغرب الحياة ؟!

– أية حياة ؟

– هذه التي نعيشها بصفتنا بشر !

– بشر ؟ سخافة أن نفكر في امر لا ندري كنهه ! المهم في الأمر هو أنك تعيش ، إنك تعيش ، تعيش ، تعيش !

– تعيش ؟ تعيش ؟ آه !. وفي رأسه تلمع صور ، وفي أذنيه تطن أصوات ، ودوي العجلات ، ولغط المسافرين ، والرائحة الكريهة التي تملأ العربة ، والغبار الخفيف يتناثر من



نوافـذ العربات .

– قه ، قه ، قه ... تف ! وتفـل ، ووجه الأشيب تظهر عليه امارات الألم ، وصدره يرتفع وينخفض .

– يوم ، يوم ، أريد ماي !

ويمد رأسه من النافذة ، والظلام يطبق على جانبي القطار ، لا يظهر أي شيء .. أي شيء .. إلا الظلام ، وظلال الرؤوس تطل من نوافذ العربات ، وتتراقص على جانبي الطريق ، والظلمة القاتمـة تثير فيه شيئاً غريباً ... بشيئاً يتململ في نفسه ... في اعماقه !

وصاحبه يدفن رأسه في كتاب ، وهو ينكمش على نفسه ، كأنما لا يحس بوجود شيء .. أي شيء .. إلا وجود هذا القطار بعرباته العديدة ، وهؤلاء الراكبين . والظـلال تتراقص على حافات الطريق ، والنور يومض يتيماً من بعيد .

كل شي ... كل شيء لا وجود له إلا القطار والظـلام ، والذين يثرثرون بزعيق متناثر يرتفع مختلطاً ممزوجا لا معنى له ، ولا يفهـم منه شيء ، إلا احساسك بوجوده ، وجود الذين يثرثرونه هباء فارغاً .

وصفر القطار ، وبدت انوار محطة من بعيـد ، وارتفع ضجيج البائعين :

– جاي .. جاي . جاي تازة ، خبز وبيض ، خبزوبيض ، تازة جاي ... جاي .. جاي !

وتزداد زحمة العربات ، والرائحة الكريهة تملأ جو العربات ، واللغط والضجيج ، والرأس تدور ، واشياء مبهمـة تدور في نفسه .

ويصفر القطار ، تدور محركاته . الذين نزلوا يسرعون في الصعود ، ويسرع في سيره ، والمحطة تختفي ، وضجيج البائعين يملأ أذنيه ، ويتلاشى ويتناثر .

– أوه ! دوي العجلات يدق في أذنيه ، كمطارق من حديد . ويفكر وصور عديدة تتناثر في مخيلته ... كالايام ، كالذكريات عندما يبدأ القطار يسير يخيل إليك انك تنبذ يوماً او ذكرى . محطة بعد محطة ، ناس يصعدون وناس ينزلون .

– تماماً كالحياة ، كالأيام ، كالذكريات . والقطار يظل يسير .

– القطار ؟ آه ! إنه الزمن ! الزمن ؟ تماماً كالزمن ! يظل يجرك جراً ، أو يسحب عمرك يوماً بعد يوم ، وأنت متعلق بهذا الحبل الزمني تودع يوماً وتترك وجوها .

– تماماً كالقطار ، وانت راكب فيه ، يضطرك ان تترك محطة وراء محطة .

– فاسفة ؟ وضحك .

– أية فلسفة ؟ إنما القطار يثير فيك شيئاً مبهماً .

– كالحياة ؟!

– تماماً ! كالحياة !

– يمة ماي ، يمة ماي ! وتمد الدولكة بيدها – عمي شوية ماي للصغير ، ويملأها لها .

وصاحبه لا يزال يغرق في صمته وذهوله ، والقلق يلوّن وجهه ، وعيناه تبدوان في شبه ضباب وراء زجاج العوينات .

ويتأمله . الكآبة ، القلق ، الذهول ... حتى في القطار ؟ أين المفر ؟ ويمد رأسه من النافذة ، والظلال لا تزال تتراقص على حافات الطريق ، والظلمة توحي له بأشياء مبهمة .. ولغط المسافرين يزحم اذنيه ضجيجاً غير مفهوم .

ويحلق بعينيه في الظلام ، وأشباح النخيل المعتمة كالمردة الغريبة تقف جامدة مسحورة .

ويرتفع صوت بلوعة وحنين

– ومن الذي يحكم عدل بين الحبيب وبيني ! ومن الذي ...

ويظل يكرر لوعته وحنينه ، ويحس بغثيان . – أف ! السأم ! السأم يلاحقه ... السأم ؟ المارد الذي يخيم على حياته . والغبار الخفيف يتناثر من نوافذ العربات ، ويشم رائحة الأرض .

– الأرض ؟ أرضنا ؟ الخير الذي يفيض ! آه ! ما أروع ان تشم رائحة الأرض ، أرضنا الطيبة .. النفط .. الماء .. الحنطة .. اوه ! الجنة .. الجنة المحرمة !

الأشيب الرأس ، اليابس الوجه ، الجلف الهيئة ، ينظر اليه والى صاحبه دائماً ، إنه يحدق فيهما . ماذا يريد ؟ وعيناه ذات وميض خاص غريب . وهو يزحم متعمداً المرأة الريفية وأطفالها وزوجها بجلسته على سطح العربة ، ورائحته الكريهة تزكم انفه .

والقطار يهدىء سرعته وانوار المحطة تلتمع ، وضجيج البائعين يرتفع ، ويقفز الأشيب قبل ان يقف القطار ... والقطار يصفر والمحطة تختفي ، وبائع القهوة يقرقع بالفنـاجين . وتصرخ المرأة الريفية :

– الفلوس ؟ كيس الفلوس . وزوجها ينفث الدخان – عندك – ماكو ؟

وتظل تفتش بين المقاعد وصرة ملابسها ، وتدمع عيناها – راحت ... راحت كلها .

وتعود لذهنه صورة الأشيب ونظراته المبهمة الغريبة ، وتلقم

طفلها ثديها الاعجف المتهدل ، والظلال لا تزال تتراقص على جانبي الطريق ، والقطار يسرع في سيره .. جك ، جك ، جك ، جك .

— جاي ، جاي ، تازة ، جاي . وبائع القهوة يقرقع بالفناجين

— تشرب ؟

— شوية ، ويرتشف هو وصاحبه الفناجين ، وصوت يرتفع متلوعاً ، وأضواء يتيمة تلتمع من بعيد .

وصاحبه لا يزال في صمته ، يستغرق في ذهول ، والمسافرون ورؤوسهم المنحنية على مساند المقاعد ، والنوم يستغرق عيونهم وبعضهم تمدد على الرفوف الخشبية .

— آه ! انه يحس بالوحدة ، الوحدة الموحشة .

— وحدة ؟ نعم وحدة تثير فيه كل شيء .

— ولكنك وسط الضجيج ، إنك في القطار ؟

— القطار ؟ آه ! نعم ! القطار والظلال والظلام ودوي العجلات يدق في اذنيه ، والمسافرون والنوم ، والرائحة تزكم أنفه ، والغبار الخفيف يتناثر من نوافذ العربة .

آه ! الوحدة تملأ كل مشاعره ، انه وحيد .. وحيد . إلا من هذا القلب الذي ينبض بغرابة .. وهذه المخيلة التي تملأها الصور والذكريات .

— ياه ! انه وحيد ، واحساسه بالوحدة يملأ عليه اعماقه ... كل شيء حوله نائم .. نائم .. إلا هو .. يقاوم النوم ، ويتأمل الظلال تتراقص على حافات الطريق ، والقطار يسرع في سيره ... جك ، جك ، جك ، جك . وكل شيء على حافات الطريق يبدو خراباً رهيباً ، مجرد ظلمة حالكة لا نهاية لها . كل شيء مجرد خراب وظلمة الا القطار .. القطار وحده .. تملأه الحياة ، هو وحده يتحرك والناس نيام !

والتفت الى صاحبه ، والساعة تشير الى الواحدة والنصف . عما قريب سيتركه وحده ، لينزل وحيـــداً الى البقعة التي سيمكث فيها فترة من حياته ، يضيع كمية من عمره . سينزل وحده مخلفاً صديقه وحيداً في القطار .. وحيداً إلا من نفسه ، والناس نيام ، ودوي العجلات يدق في اذنيه .

ورفع صاحبه رأسه وعيناه يكحلها الوسن .

— ماذا ؟ — سنفترق ! نفترق .. والانوار تبدو من بعيد . وسرعة القطار تهدأ وتتباطأ ، وضجيج الباعة يرتفع ، وحمل حقائبه ونزل وصاحبه معه يودعه . وصفر القطار ، وصافح رفيقــه وتأمل وجهه .

— وداعاً ! وتحرك القطار ، وزعيقه يدوي في رأســه . واختفى في منعرج الطريق .

— اوه ! من يدري ؟ كلانا يختفي عن عين صاحبه .. الا الصور ، الصور الرابضة في الرأس ، وزعيق القطار يتناثر في اذنيه من بعيد .

وعادت المحطة يحلق فوقها السكون ، والتفت ينادي حمالاً ، والبلدة تلوح كشبح اسود مخيف يجثم في صمت . ويترك المحطة والظلام يخيم فوق كل شيء !

بغداد — محمد روزنامجي

في طريق الميثولوجيا عند العرب

بقلم محمود الحوت

استاذ في العلوم



الباب الثامن

صدى المعتقدات والاساطير في الشعر

الفصل الأول : حقيقة الشعر الجاهلي

بتلخص رأي العميد الدكتور طه حسين بالادب الجاهلي في قوله : « ان الكثرة المطلقة مما نسميه ادباً جاهلياً ليست من الجاهلية في شيء ، وانما هي منتحلة بعد ظهور الاسلام فهي اسلامية تمثل حياة المسلمين وميولهم واهواءهم اكثر مما تمثل حياة الجاهليين . وأكاد لا أشك في ان ما بقي من الادب الجاهلي الصحيح قليل جداً لا يمثل شيئاً ولا يدل على شيء ، ولا ينبغي الاعتماد عليه في استخراج الصورة الادبية الصحيحة لهذا العصر الجاهلي . وانا اقدّر النتائج الخطرة لهذه النظرية ، ولكني مع ذلك لا اتردد في اثباتها واذاعتها ، ولا اضعف عن ان اعلن اليك والى غيرك من القراء ان ما تقرأوه على انه شعر امرىء القيس او طرفة او ابن كلثوم او عنترة ليس من هؤلاء الناس في شيء ، وانما هو انتحال الرواة او اختلاق الاعراب او صنعة النحاة او تكلف القصاص او اختراع المفسرين والمحدثين والمتكلمين . » [1]

والدكتور العميد في نظريته هذه ، يعتمد اولاً على نصوص المعلقات وغيرها من الشعر الجاهلي ، فيرى فيها من التشابه ما يخالف التباين في لغات القبائل ولهجاتها . وهو ، في نفسه ، يعجب كيف استقامت اوزان الشعر وبحوره وقوافيه كما دوّنها الخليل لقبائل العرب كلها دون تباين ، بينما لم يستطع القرآن نفسه ان يستقيم اداؤه لها . ويرى الدكتور في هذا الشعر عجزاً عن تصوير الحياة الجاهلية فيلتمس من القرآن تلك الحياة التي تظهر في شعر الاسلاميين اكثر من ظهورها في شعر طرفة وبشر وعنترة . وهو ينكر كل ما يضاف الى اهل الجنوب من شعر وسجع ونثر قيل بلغة اهل الشمال قبل الاسلام ، مستنداً في ذلك على رفضه قصة السيل العرم ، وروايات هجرة اليمنيين من اساسها لأنها خالية من النصوص . ولا نعلم ان العجز عن اثبات الحقيقة ينفي وجودها .

ويعتمد الدكتور طه حسين ثانياً على اسباب الانتحال وهي كثيرة ، واهمها في نظره : السياسة ، والدين ، والقصص ، والشعوبية ، واهواء الرواة . وعليه يرى ان « كل شيء في حياة المسلمين في القرون الثلاثة الاولى كان يدعو الى انتحال الشعر وتلفيقه سواء في ذلك الحياة الصالحة : حياة الاتقياء البررة ، والحياة السيئة : حياة الفسق واصحاب المجون » [1]

والدكتور حينما ينفي ما يروى عن عاد وثمود ، وطسم وجديس ، وجرهم والعماليق ، وما يروى عن تبّع وحمْير وشعراء اليمن واخبار الكهّان ، وما يتصل بالسيل العرم ، وتفرّق العرب بعده يقول انه موضوع لا أصل له . غير اننا لا نشتمّ رفضاً من الدكتور او ميلاً الى رفض ما جاء في القرآن ، وفي القرآن نصوص تؤيد هذا الاصل .... وفي رأيه ان كل ما يروى من ايام العرب وما يتصل به من الشعر خليق ان يكون موضوعاً .

هذا ويصعب التوفيق بين كلام الدكتور طه حسين ، وبين كلام الاستاذ تثشر Thatcher الذي يقول انه لا يوجد بين

---

(١) ص ٦٣ « في الأدب الجاهلي » ، الطبعة الثالثة ١٩٣٣

(١) ص ١٨١ « في الأدب الجاهلي »

القصص المتداولة في زمن (محمد)، ذو قيمة الا « ايام العرب » او تلك المعارك الداخلية التي كانت تقع في البلاد العربية بين القبائل.[1]

والبحث يطول جداً مع الدكتور في نقاش هذه النظرية، واظهار مقدار ما له منها من الآراء، وفيها من الصواب. ولقد رد عليه جمهرة من الكتاب. والتصدي لآرائهم ايضاً وتعديد النقاط التي اخطأوا فيها رميَ الهدف يشغل حيزاً كبيراً لا تتسع له فصول من كتاب.

والحقيقة ان (الوضع) في الشعر ملموس منذ القدم، وللجاحظ نفسه شكوك في الشعر الجاهلي ربما بنيت على اسباب دقيقة مما يدل على ارهاف ملاحظة هذا الكاتب الفذ. ولقد شك في قصيدة لشاعر جاهلي «وهو الأفوه الأودي» لمجرد قوله فيها ان الشهب التي يراها انما هي قذف او رجم، ولذلك قال الجاحظ: « فهذا دليل آخر على ان القصيدة مصنوعة!»[2]

على أنه مهما كان من شأن تلك النظرية قبل الدكتور طه حسين وبعده، وما قيل فيها من أخذ، لا يسعنا ان نأخذ برأي من يقولون مع Lyall ان ما تبقى من الشعر الجاهلي، مهما قيل في حقيقته، ودون الالتفات الى اكثريته الضائعة، يكفي لاعطائنا فكرة واضحة شاملة عن حياة ذلك العصر ومميزاته. اما قضية ناظميه فمها قيل فيها، انما هي لأغراضنا شيء ثانوي[3].

كلا ... انه لا يسعنا ان نذهب هذا المذهب، كما أننا لا نجري مجرى Nicholson في قوله المحدود: ان الشعر القديم يمكن ان نعتبره عرضاً تصويرياً «illustrative criticism» لحياة الجاهليين وعقليتهم قبل الاسلام[4].

لقد ضاع شيء كثير من الشعر الذي قيل في خلال قرن ونصف تقريباً قبل الاسلام. وكانت الأسباب كثيرة، اهمها اثنان: عدم التدوين، ونحن نعلم انه لم يبتدىء المسلمون بتدوين الأحاديث والشعر رسمياً الا بعد انقضاء ما يقرب من قرن بعد

(١) سبق ان أشرنا الى هذا المصدر

(٢) ص ٩٠ ج ٦ البيان والتبيين، الطبعة الثانية ١٩٣٢

(٣) Ch. J. Lyall: Translation of Arabian Poety, London 1930 - XXXII

(٤) R. A. Nicholson: A hiterary History of the Arabs, Cambridge 1930 ص ٧٨ - ٧٩.

الهجرة – وفي هذه المدة لا بد وان يكون عدد كبير من رواة الشعر وغيره قد قضى، كما ان تشتيت القبائل في الاصقاع البعيدة ادّى الى نسيان كثير من اخبار الجزيرة، وخاصة الوثنية منها ومفاخر الجاهلية.

وأما الثاني فموقف الاسلام عموماً من الحياة الوثنية، ومناحي التفكير فيها، ولا سبيل الى القول ان آثاراً عديدة (واخص بالذكر ما يمت الى النواحي الدينية بصلة) قد دثر وطمست الحياة الاسلامية – قصداً او عن غير قصد – معالمه حتى لا يعوق الدعوة في عنفوانها شيء جاهلي. وطبيعي ان تمحى اشعار الوثنيين فيما مُحي من المعالم والآثار.

ولقد سبقنا عمرو بن العلاء الى هذه الملاحظة فقال: « ما انتهى اليكم مما قالت العرب الا أقله. ولو جاءكم وافراً لجاءكم علم وشعر كثير»[1]. وتحدّث اليعقوبي عن العرب والشعر فقال: « ولم يكن لهم شيء يرجعون اليه من احكامهم وافعالهم الا الشعر: فيه كانوا يختصمون، وبه يتمثلون، وبه يتفاضلون، وبه يتقاسمون، وبه يتناضلون، وبه يمدحون ويعابون»[2]. وروي عن الراشد عمر قوله: « كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه»[3]. وقال ابن سلاّم: « وكان الشعر في الجاهلية ديوان علمهم ومنتهى حكمهم، به يأخذون واليه يصيرون»[4].

كل هذا حسن، غير اننا – وان لم نكن مطلقي الوفاق مع الدكتور طه حسين – لا نرى في الشعر القديم معرضاً كاملاً تتمثل فيه الحياة الجاهلية كما يذهب اليه الكثيرون. ولا عجب فاننا نكاد نفقد كل اثر شعري وثني، وليس ما بين ايدينا من نتف الاشعار التي تشير الى الأصنام، والانصاب، والعتر لها، وضرب القداح عندها، سوى أثر ضئيل جداً ان لم يكن بعضه مصنوعاً، فقد أبقاه المسلمون ليظهروا – فيما احبوا ان يظهروا – ما كانت عليه قريش والعرب ومن الرجوع الى الحق (فيما بعد) والاعتراف بالله، والنكول عن عبادة الآلهة الوثنية

ولرب قائل يذهب الى ما ذهب اليه Lyall فيقول ان من

(١) ص ١٠ طبقات الشعراء لابن سلاّم الجمحي، مطبعة بريل-ليدن ١٩١٣

(٢) ص ٣٠٤ ج١ تاريخ ابن واضح اليعقوبي، مطبعة بريل-ليدن ١٨٨٣

(٣) ص ١٠ طبقات الشعراء (٤) نفس المصدر

الافضل ان نستنتج ان بدوي بطن الجزيرة لم يهتم في عصور ما قبل الاسلام بدين ما، وذلك لانعدام البراهين التي تثبت كثرة الاشعار ذات العلاقة بالعبادة الوثنية[1]. وهنا نجيبه اننا لا نشك في ضعف الايمان التقوي عند الاعراب عامة، غير ان هذا الجدال الذي جادلت به قريش رسول الله ، وهذا الدفاع الذي دافعت به عن مكانتها الدينية (مهما كان سببه) ، وهذه الحروب الشعواء التي شنتها على النبي وأصحابه في اوائل الدعوة تذبّ عن آلهتها (فيما تذبّ عنه) لجديرة بان تلهب في شعرائهـــا وشعراء من ناصرها من القبائل الحماس الديني ، فتذكر فيما تذكر، في ردّها على شعراء الرسول ، اسماء الآلهة التي تعبدها على الاقل، وتشير الى الشعائر والمراسيم التي تفخر بها وتقيمها لهـــا من وقت الى آخر ... وانك لتقرأ اشعار السيرة كلها ، وخصوصاً ما قيل في الوقائع الهامّة بين المسلمين وقريش امثـال بدر ، وأحد ، والخندق ، وفتح مكة ، فلا تجد شيئاً من ذلك كله ، حتى انك لا تجد شيئاً يشبه قول أبي سفيان في معركة أحد ، مخاطباً الـه مكة : اعلُ هبل ! اعلُ هبل .

قال لامنس : « وقد يكون وجود اللات والعزّى في أحد آخر مظهر لعرض هذه البيوت او الحجارة المؤلهة . فيكون انسراة مكة، وقد منوا بانكسار بدر فتداعت اركان جمهوريتهم شاءوا هزّ الشعور القومي هزاً عنيفاً فلجأوا الى احياء هذه المشاعر القديمة في مظاهر غريبة يدفعون بها الوطنيين الى التأثر برأي آلهة مدينتهم العريقة، فاستعادت الثقة بها والايمان بتأثيرها بعد ان كاد هذا الايمان يمحى بما فُطر عليه البدوي من عبث وعدم تقوى »[2] .

والحقيقـــة انهم هزّوا شعور المحاربين القومي هزاً عنيفاً فحاربوا مستميتين في أحـد وغيرها من المعارك الشديدة . اما ان لا تكون الآلهة التي كادت ان تدول دولتها في هذه الحروب العنيفـة بين الوثنيين والمسلمين سبباً في اثارة الشاعرية بشعراء قريش وغيرها من القبائـــل فلا نراه قولاً وجيهاً مهما قيل في عبث البدوي وعدم تقواه !

فلا شك ، اذاً ، في ان قسماً كبيراً من ذلك الشعر الوثني كان متداولاً حتى اواخر القرن السادس للميلاد رغم خشية المسلمين من روايته ... حتى اذا شعروا في التدوين ، اسقطوا منه وحوّروا فيه — وما اسهل نقل اللات ، بالاشعار ، الى الله — حتى قضوا عليه خوفاً من تخليده كتابة كما خلدوا القرآن والحديث ، وكانوا بهذين في غنى عن كل شيء ، لولا فلتات ضئيلة جداً ابقوا عليها لاستشهاد معين مقصود .

ولا شك ايضاً في ان قصائد الفخر التي تشرّف القبيلة ، او بالأحرى مدائح شعرائها واهاجيهم لأعدائها ، كانت اقوى على البقاء من غيرها . اما تلك القصائد العمومية التي تعتمد عـــلى اهميتها في التطاول على الزمن ، فلم يبق منها الا ما هو مشهور ، وكثير التداول على الألسن . قال ابن سلام : « فلما راجعت العرب رواية الشعر وذكر ايامها ومآثرها ، استقلّ بعض العشائر شعر شعرائهم ، وما ذهب من ذكر وقائعهم ، وكان قوم قلّت وقائعهم واشعارهم، وارادوا ان يلحقوا بمن له الوقائع والاشعار، فقالوا عـــلى ألسن شعرائهم ، ثم كانت الرواة فزادوا في الاشعار » .[1]

ولقد اشرنا الى تناقـل الرواة للشعر الجاهلي طيلة قرنين ، حيث كان لكل شاعر راوية ، وكثيراً ما يكون الراوية نفسه شاعراً فحلاً كأنْ يروي زهير (مثلا) لأوس بن حجر ، والحطيئة لزهير ، وهدبة بن الخشرم القضاعي للحطيئة ، وجميل بثينة لهدبة، وكثيّر عزّة لجميل، وقد مات كثيّر سنة ١٠٥ هـ[2] هذا ، وكان من شأن اهتمامهم بالقرآن والحديث اضعاف رواية الشعر، غير انه لما جمع القرآن وكان المسلمون قد انتشروا في الارض ، اصبح من الضروري ان يهتموا بالتفسير . وهذا — مع اهتمامهم بعلوم اللغة من نحو وصرف — ادّى الى لجوئهم ثانية الى الشعر القديم فجمعت اشهر القصائد الجاهلية... وراجت بضاعة الرواة مرة اخرى ... ومن هنا اخذ يظهر غش الرواة ودسهم معتمدين على معرفتهم التامة بالشعر ، ومقدرتهم عـــلى نظم ما يجري اكثره على علمـــاء اللغة ، وهكذا قويت اسباب انتحال الشعر ، او على حد تعبير « نكلسن » : « كما زاد الطلب كذلك زاد العرض »[3] ويكفي ان نشير الى روايتين أفسدا كثيراً من الشعر ، وكثر كلام الناس في كذبهما ، وهما حمّاد الراوية ، وخلف الاحمر .[4]

محمود الحوت

(١) Lyall XXVII
(٢) ص ٢٢٠ - ٢٢١ مجلة المشرق عدد ٢ المجلد ٣٧

(١) ص ١٤ طبقات الشعراء (٢) Lyall XXXVI
(٣) Nicholson ص ١٣٣
(٤) اقرأ : «الرواة وانتحال الشعر» في «في الأدب الجاهلي» ص ١٧٦-١٨١

يا أسمر

•

ناصر ابو حميد

الخبر ـ السعودية

تهمس بي وتضمر قائلة يا اسمر
ان خطاك في الطريق طائر ينقر
تمر حول بابنا عشية وتنظر
حتى اذا ما لوحت يدي اليك تذعر
وتشتهي مقلتك السوداء لو تحجر
حتى خطاك في الطريق تنثني وتعثر
يا عاشقي اني هنا في شرفتي انتظر
صعّد الي طرفك الساجي لعلي اسكر
وتعبر الرؤيا بنا هنيهة وتبحر

✳

يا ساحري

•

لكمال فوزي

دمشق

يا ساحري ... ما أجملكْ أكلُّ ما للحسن لكْ
هذا الكمالُ أشكُّ هل كمّلتَهُ أمْ كمّلكْ
لم يدرِ قلبي من دروبك أيَّ مجهولٍ سلكْ
أنا عابدٌ ... أحرقتُ أيامي لأبلغَ هيكلكْ

قيل : الربيعُ أتى . فقلتُ : أتى يُقبِّلُ منهلكْ
والصحوُ ، والنسْمُ الغنوجُ ، وكلُّ نورٍ في الفلكْ
ما رفرفتْ ، يا ساحري ، إلاّ لترعى منزلكْ

يا ساحري ... أنا ظاميءٌ للطيبِ ، فافتح أنملكْ
ولتغرقِ الدنيا هوىً بشذا نبيٍّ أو ملكْ

يا ساحري ... ماأجملكْ ، ألحسن ... كلُّ الحسن لكْ

في كلمات ...

● اكتشف الدكتور سولرميدس دواء جديداً ناجعاً لمعالجة السرطان سماه « بيروكسيدوجين » وهو مستخرج من تقطير بعض العناصر المعدنية وزيت كبد الحوت . وخاصية الدواء الرئيسية انه من فصيلة مولد الحموضة الذي يقتل جرثومة هذا الداء الوبيل وهو معد بشكل « زرقات » في العضلات بمقدار ١٥ سم٣ ويعطى يومياً للمصاب .

وقد اعطت المعالجة بهذا الدواء نتائج حسنة فاقت كل الآمال فتسعين بالمائة ممن عولجوا به في بدء سريان المرض قد شفوا تماماً وبذلك يستعيض الانسان المريض بالسرطان بهذا الدواء بدلاً عن الجراحة او التداوي بالأشعة والراديوم .

● سرطان الثدي نوعـــان : نوع تزيده الافرازات الداخلية النسوية المهيجة (الهرمونات)، ونوع آخر لا يتأثر بهذه المواد المهيجة ، وقد تعوقه هذه المواد .

ويصل سرطان الثدي عادة الى العظام ويتلف السرطان العظام فيزيد افراز الكالسيوم في البول ، واذا وقف نمو السرطان ، قبل افراز الكالسيوم في البول ، فيمكن انقاذ المريض .

وقد فحص عدد من المصابات بسرطان النهد بعد ان امتد الى العظـــام ، وفحص حيضهن ، فاتضح ان مقدار الافراز النسوي المهيـــج « استروجين » يزيد في الجسم بين الطمثين ويبلغ اقصاه قبل بدء الطمث .

وتقدير افراز الكالسيوم يمكننا من معرفة تأثير زيادة الأستروجين في الجسم ومـــدى سرعة نمو السرطان .

● اعلن الدكتور هينبج شولدبورج الطبيب الدانماركي ، في اجتماع لجمعية جوتلاند الطبية انه اكتشف ان بالامكان بفضل استخدام الهرمونات تأخير موعد « العادة الشهرية » عند النساء ، وقد يكون لذلك بعض الأهمية عند بعضهم .

وقال الدكتور شولدبورج انه توصل الىحل مشكلة « الاسر التي يتعذر عليها انجاب اطفال » .. وذلك بفحص الأنسجة ، وقد نجح في تتبع تأثير « الجليكوجين » – وهو مادة مغذية – على الغشاء المخاطي في الرحم ، وهي عملية يستطاع بواسطتها معرفة ما اذا كانت البويضة الجديدة تحصل على التغذية الكافية للابقاء على حيويتها .

واصبح من الممكن الآن بفضل هذه التجارب تحديد كمية الهورمونات التي يجب ان تعطى لسيدة حامل ، وتجنيب اعطائها كمية زائدة قد تؤدي الى مرض السرطان .

● قد يؤدي الالتهاب المزمن في القولون اي الأمعاء الغلاظ الى تورم سرطاني ويعتقد الطبيبان ألدن وكسر واوستن تشن من كليفلاند انه نظراً لعدم وجود اشارات كافية تدل على الاصابة بهذا النوع من السرطان فان الطريقة المثلى في عدة حالات تترتب على ازالة القولون .

ويقول هذان الطبيبان ان اختباراتهما المدعومة باختبارات اطبـــاء آخرين تجعلهما يعتقدان بان الاشخاص المصابين بالتهاب متقرح ومزمن في القولون هم معرضون لتحول سرطاني خبيث ، ومما يزيد في حراجة الحال ان التورم السرطاني في القولون يصعب الاستدلال عليه .

وان المرضى المصابين بالتهاب من هذا النوع تلزمهم عملية لازالة القولون وفتح منفذ خاص في الامعاء الصغيرة لتفريغ البراز .

● نشرت «جمعية مقاومة السرطان الأميركية» نتائج تحقيقاتها حول مرض السرطان الذي اثير حول علك الدخان .

فقد جاء ان الاطباء : جورج مور ولستر بنجر وبروشل الذين درسوا عدداً كبيراً من اسباب مرض السرطان في معهد الطب بجامعـــة مينوسيتا قد اكدوا بانه من اصل اربعين مريضاً بالسرطان في جهازهم التنفسي وفي افواههم وجد ست وعشرون مريضاً كانوا يتعاطون مضغ الدخان منذ زمن بعيد .

ثم يقول هؤلاء الأطباء بان السرطان ينتشر في هذه الاجهزة بعد مرور خمسة عشر عاماً على البدء في تعاطي الدخان . اما تدخين السجائر والسيجار والغليون فيظهر انه لا يؤثر في مرض السرطان الذي يوجد في الفم عادة .

● جاء في نشرة اخيرة لمجلة جمعية الطب الأميركية ان الألم المتواصل في العظم او المفصل او العضلة وعلى الأخص متى كان اي من هذه الاعضاء مستريحاً ، قد يكون دليلاً على سرطان خبيث في العظم ، وذكر المقال ان ألماً من هذا النوع هو اهم الاعراض التي تسبق السرطان الخبيث وفي بعض الاحيان متى كان العضو المنوم هو في الطرف الاسفل من الجسم يكون اول دليل عليه ان يعرج الشخص قبل الالم . ويتراوح نوع الالم من انزعاج متكرر من النوع الروماتزمي الى الم شديد فجائي .

ويقول الاطباء انه كلما اسرع الطبيب في تشخيص المرض وصار من الممكن الاسراع باجراء المعالجة الضرورية يسهل معرفة نتائجه وعاقبته ويمكن تشخيص اغلب هذه الاصابات بواسطة درس دقيق لتاريخ المصاب وفحص جسمه فحصاً كاملاً واجراء الدراسات الاختبارية اللازمة مع استعمال أشعة اكس . ومن الضروري ازالة قطعة من الانسجة المعتلة وفحصها قبل ان يقرر نوع المعالجة غير ان الاطباء يقولون ان هذا النوع من السرطان الخبيث في العظم يتدنى نسبياً .

● تتابع الاوساط الطبية في جنوبي افريقيا باهتمام زائد الاعمال التي يقوم بها الدكتور بريكس من جامعة كراهـــامستون وذلك باستعماله « الفلوبوريسين » في معالجة مرض السرطان .

ويقول الدكتور بريكس بان مختبرات جامعة كراهامستون هي في طريقها الى اكتشاف الدواء الذي يقضي على السرطان . ومما قاله ايضاً ان مواد الفلوبوريسين والبنزين والنفتالين والانتراسين والنفتاسين لها مفعول هام على الاجزاء الحية ولا سيا على الغدد المصابة .

● سيبدأ مستشفى نيو انكلند في امريكا قريباً باستخدام مجهر (ميكروسكوب) جديد للتحري عن مسببات داء السرطان .

ويختلف هذا الميكروسكوب الجديد – الذي اخترعه الدكتور ادوين لاند – عن ســـائر المجاهر المألوفة باستخدام انوار محتجبة تعجز العين البشرية عن رؤيتها – وخاصة الاشعاع البنفسجي المتفوق . ولكن النتائج تظهر عـــلى الواح فوتوغرافية شديدة الحساسية .

ومعلوم لدى العلماء ان الخلايا والعضـــلات والانسجة البشرية المتنوعة تمتص الاشعاع البنفسجي بنوع من التفاوت – اي ان بعضها يمتص هذا الاشعاع او يتأثر به اكثر او اقل من انسجة او خلايا اخرى . ولهذا يرتكز التحري في المجهر الجديد على قاعدة استخدام موجات اشعاع بنفسجي تتفاوت في طولها وقوتها للتمييز بين مختلف الغدد والخلايا عند درس التأثيرات الفوتوغرافية .

● اكتشف مؤخراً احد الاطباء في نيويورك دواء جديداً يعمل على تخفيف ضغط الدم دون الحاق اي ضرر بالقلب وقد برهنت التجارب التي اجريت ان الدواء الجديد قد نجح نجاحاً تاماً بخفض ضغط الدم في مدة قصيرة .

● اثبتت بعض التجارب الاخيرة ان « الكورتزون » يقوى على علاج الشلل النصفي في الوجه . وبهذا ينضم هذا المرض العسير الشفاء الى مجموعة الامراض التي يقضي عليها الكورتزون

● اعلن في اجتماع جماعة « العلاج التجريبي » في نيو هافن عن دواء يقف الغثيان والقيء دون ان تكون له آثار ضارة .

واسم هذا الدواء « كلوربرومازين » ، وهو في الواقع ٢ – كلور ١٠ (٣ – ديميثيل امينوبروبيل) فينوثيازين هيدروكلورويد ، وقد جرب احداث قيء صناعي ودوار في الكلاب ثم عولجت الكلاب بهذا الدواء فكانت النتيجة طيبة .

وجربت كلية « بيلور » الطبية اعطاء الدواء لمرضى يقيئون باسباب مختلفة ، فشفي تماماً ٥٣ مصاباً من ٦٧ ، وتحسنت حال الآخرين. ويمكن اعطاء هذا الدواء الجديد بالفم او الحقن العضلي ، ويمكن تكرار اعطائه ، وليس له تأثير ثانوي شديد، فيا عدا التخدير والدواء الخفيف وجفاف الحلق وتسارع نبض القلب وازدياد الضغط قليلاً .

● اذاعت وكالة تاس ان العلماء الروس نجحوا في تجارب كانت تعتبر حتى اليوم مستحيلة التحقيق ، كعملية نقل الاورام الخبيثة من مخ الانسان واستبدالها باجزاء سليمة من مخ الحيوان .

● اعلن الدكتور جاكسون دبلس انه تمكن من اكتشاف دواء جديد لا لمقاومة الصلع فحسب ، بل ولانبات الشعر من جديد ايضاً .

وقال الطبيب وهو يصف اكتشافه الجديد : لقد ظللت اقوم بتجارب متواصلة لمدة عشر سنوات كاملة، تمكنت في نهايتها من اكتشاف هذا الدواء وقد قمت بتجارب عديدة على الحيوان والانسان، واستطيع ان اقول انني ساجعل من رأس الاصلع حديقة فيحاء ، وسأقدم دوائي هذا للجمهور في خلال سنة واحدة .

● ما تزال الهيئة الصحية العالمية توفد كبار الخبراء العالميين لمعالجة المسلولين ومكافحة هذا الداء الوبيل في مختلف الانحاء ، وقد تحدث الدكتور بيو عن اسلوب المعالجة لهذا الداء الخبيث والاسباب التي تزيد من نسبة عدد المرضى بهذا المرض في البلاد الحارة فقال :

لم تكن الشمس واشعتها وحرارتها عاملاً من عوامل الإقلال من مرض السل والامراض الصدرية بل على العكس من ذلك لأن حرارة الشمس كثيراً ما تكون عاملاً على زيادة هذا المرض ومضاعفة خطره لأن الحرارة تهيج الميكروب وتجعله نشيطاً .

ومشكلة علاج الامراض الصدرية في العصر الحديث تختلف اختلافاً كبيراً عما كانت عليه في الماضي وذلك بعد ما كشف العلم عن وسائل علاج حديثة بدلاً مما كان متبعاً من قبل والدليل على هذا ان مصحات سويسرا التي كانت مزدحمة بالمرضى بدأت تشكو قلة العمل والفضل في هذا للمكتشفات الحديثة .

ولقد كان السل في الماضي من الأمراض المزعجة ذلك لان تطوره من سيء الى اسوأ وصعوبة علاجه في مراحله الاخيرة ادى الى زيادة نسبة الوفيات وزيادة عدد المرضى... اما اليوم وبفضل العلاج الحديث فقد امكن شفاء اكثر من ٨٠ ٪ من حالات المرضى بالسل ... بل انه اصبح من الممكن الآن شفاء الكثير من الحالات التي كان يعتبر في الماضي علاجها من الامور المستحيلة .

ولقد اثبت طعم الـ « ب ث ج » في كل مكان في العالم صلاحيته التامة والدليل الملموس على صحة ما اقول ان الدانمرك وقد كانت نسبة المرض بالسل فيها مرتفعة اصبح لا يزيد عدد المرضى على مائة نسمة فقط وذلك بفضل هذا المصل .

اما عن اسباب زيادة المرض بالتدرن في البلاد الحارة والمشمسة فيرجع اولاً كما قلت الى الحرارة التي تكون عاملاً من عوامل تنشيط الميكروبات ثم مستوى المعيشة المنخفضة الذي يعيش عليه اغلب سكان تلك المناطق ، وكذلك انعدام الثقافة الصحية بينهم وجهل المرضى بما يجب ان يتبع في بداية المرض وتركهم الميكروبات تنشط وتتفشى في اجسامهم .

● ظهر في الاسواق الامريكية اخيراً نوع من الاسبرين يؤخذ بطريق الاذابة في الماء ، وهو مخصص لمن لا يعرفون كيف يبتلعون الاقراص .. وهذه الاقراص الجديدة تسمى « دسبرين » وهي ذات طعم مستساغ اذا اذيبت في الماء ، فضلاً عن سرعة مفعولها وتأثيرها في ازالة الالم ..

● انشأ عدد من الاطباء والعلماء من الولايات الشمالية الغربية في امريكا جمعية اطلق عليها اسم « جمعية الطب الذري » وستعقد اجتماعها العام الاول قريباً لتبادل وجهات النظر والمعلومات باستخدام الطاقة الذرية لدرس الامراض ومعالجتها

● يقول الدكتور ريموند مونتو من مستشفى هنري فورد في ديترويت ميشيغان ان استنشاق الفيتامين ب ١٢ على شكل بلورات بواسطة الانف هو طريقة جديدة في معالجة الانيميا الوبيلة .

وقد اعتبر الفيتامين ب١٢ منذ وقت غير قصير انه ذو مفعول ناجع في معالجة الانيميا الوبيلة . وهو يحقن عادة في العضل بواسطة ابرة. ولما كان هذا النوع من المعالجة يترتب ان يكون مستمراً حتى يكون ذا اثر فعال فهو غالباً ما يكون مضنياً للمريض او باهظ التكاليف .

● اذاع راديو موسكو ان العلماء الروس اكتشفوا نوعاً جديداً من نباتات الزيوت اطلق عليه اسم « كرامب » .

ويقول العلماء ان الزيت المستخرج من هذا النبات لا يقل جودة عن زيت الزيتون .

● لا تكل جهود العلماء ولا تني او تهن همة رجال البحث للاستقصاء والكشف عن اسرار كثيرة لا تزال في عالم الغيب وطي المجهول ، هذا المجهول الذي يحاول الانسان بفطرته التواقة الى المعرفة ازالة القناع والستار والحجب عن معمياته وعما يخبىء في طياته من خفايا وابهام . وفي جملة تلك الابحاث القائمة على قدم وساق في بريطانيا اليوم لمعرفة ما سيحصل للطائرات وللقذائف الموجهة التي تسير بسرعة تفوق ٣ اضعاف سرعة الصوت اي بسرعة تتجاوز الفي ميل في الساعة . وعلى هذا الاساس بنت شركة ارمسترونغ البريطانية نفقاً لاجراء الاختبارات في هذا المجال لتجربة الطائرات الصغيرة والقليلة النفقات والاكلاف . وتم بناء جهاز لهذه الغاية قوة محركه ٧٧٠٠ حصان

● اذاع راديو موسكو ان روسيا ستبدأ قريباً في صنع « آلات التنويم » الكهربائية على نطاق واسع .

وتستخدم «آلة التنويم» للمرضى بقرحة المعدة، حيث يزود المريض بتيار خفيف منتظم يبعث الاسترخاء في الجهاز العصبي فلا يلبث ان يستغرق في نوم طبيعي في خلال دقيقة واحدة .

● اخترعت المصانع الحربية الامريكية نوعاً من الخيم لايواء العسكريين في حالة الحرب وهو نوع جديد اخف وأصلح من غيره وتستطيع طائرة الهيلكوبتر ان تنقله . ويبلغ وزن هذه الخيمة خمسمائة كيلوغرام وهي تتسع لثمانية وثلاثين جندياً مع امتعتهم واسلحتهم .

● يستعمل صانعو سيارات الشحن اليوم الالومينيوم لصنع سيارات شحن خفيفة ومتينة تحمل احمالاً اثقل مما كانت تحمل سابقاتها. ويعتبر الوزن الخفيف من المزايا الثمينة اذ ان قوانين الولاية في الولايات المتحدة تحدد وزن سيارات الشحن المحملة .

وفي سيارات الوقت الحاضر تستعمل عدة اجزاء مصنوعة من الالومينيوم بما فيها اسفل السيارة وجوانبها وسقفها وخزانات البنزين والدواليب وغيرها

● قام علماء جامعة دي بول في شيكاجو بصنع آلة صغيرة لتطهير الماء وبالامكان استخدامها في المنزل. ويقول الخبراء ان الماء يطهر بواسطة لمبة صغيرة تعطي اشعاعات فوق بنفسجية .

● تستعمل الصناعة الأميركية اكثر من نصف حاجتها من الكحول المصنوعة بواسطة طريقة لتكرير احد منتوجات البترول الثانوية الذي كان قبل سنوات قليلة يلقى مع المهملات .

وهذا المنتوج هو غاز الاتلين . وقد بوشر باستعماله كمادة خام للكحول الصناعي قبل خمس سنوات في شركة شل الكيماوية التي اصبحت اليوم تنتج ملايين الغالونات من الكحول الصافي من مادة كانت تعتبر من المهملات .

● يقول المهندسون الأميركيون ان الأنابيب ستستعمل قريباً لنقل الفحم الحجري مسافات طويلة تستعمل لنقل البترول .

وقد ذكر مؤخراً المهندس النيويوركي جورج مكدونالد ، ان خطاً من الأنابيب قد جرب ووجد صالحاً لنقل الفحم الحجري . وقدم تقريره عن ذلك الى جمعية المهندسين الأميركية .

وعند اجراء التجربة سحق الفحم سحقاً دقيقاً ومزج بالماء ثم نضح في الأنابيب بواسطة مضخات. وقدر ان مثل هذا الخط من الأنابيب الذي يصل مدينتين تبعدان عن بعضهما ١٠٠ ميل ينقل الفحم بتوفير دولار واحد لكل طن مقابل كافة النقل بالقطارات .

● قد تؤدي الذبذبات الصوتية المزدوجة التي تصدر عن عمل محركات الطائرات الجديدة التي تفوق سرعتها سرعة الصوت الى استعمال هـــذه الطائرات كسلاح جديد من اسلحة الدمار في حالة نجاح تجار الأسلحة في اشعال نيران حرب جديدة.

فقد حسب العلماء اخيراً ان ضغط الهـــواء يزداد بمعدل عشرين رطلاً في القدم المربع في حالة طيران هذه الطائرات الفوق صوتية قريباً من سطح الارض ، وهذا الضغط يساوي – حسب تقدير خبراء القنابل – الضغط الذي ينشأ عن انفجار قنبلة وزنها خمسمائة رطل على بعد ٣٠٠ ياردة من مركز الأنفجار .

وقد قامت السلطات البريطانية باجراء تجربة عملية فحلقت احدى هذه الطائرات على ارتفاع قليل فوق منزل خال منعزل في الريف البريطاني وكانت النتيجة مؤيدة لما تكهن به العلماء اذا اصيب المنزل بدمار جسيم ، وعلى أثر ذلك صـــدرت الأوامر الى قواد هذه الطائرات باجتناب التحليق المنخفض فوق المنازل .

● اعلنت جامعة ميتشغن انها نجحت في استخدام الإشعاع الذري لمساعدة المجهر (الميكروسكوب) على فحص المعادن والأجسام الحية . ويتوقع ان

تسجل هذه الخطوة تقدماً واسعاً في ميدان كشف غوامض المركبات في هذه الأجسام .

● تنبأ الدكتور جوت تويس بليك في الإجتماع الذي عقدته مؤخراً الجمعية الكياوية الأميركية ان دواليب السيارات ستعمر بمعدل تعمير السيارات ذاتها .

وقد قال الدكتور المذكور ان استنباط مادة صناعية جديدة تعرف باسم « مطاط ايسوسنيت » ستمكن من انتاج دواليب للسيارات محكمة الصنع لا تتطرق اليها الطراوة او التشقق اللذان تسببهما الأكسدة الناجمة عن تعرض الدواليب للطقس .

● توصل المعهد الوطني الملكي للعميان في انكلترا اخيراً الى ايجاد احرف صلبة لنظام برايل تطبع بحبر خاص من المعجنات وبطريقة نافرة جديدة ابتكرها المعهد ذاته الذي يقولون ان هذه الطريقة هي افضل تطور وتحسن طرأ على انتاج الأدب للعميان منذ ان اوجد برايل نظامه المعروف ، ذلك النظام الذي اقتبسته دول الأرض جميعاً .

ولقد ابتكر هذه الطريقة المستر ج. غروب بالتعاون مع الموظف الفني المسؤول في المعهد المستر أ. ج. بايب. اما الفضل في تحسينها واستخدامها فيعود الى لجنة المعهد العلمية . وتأمل اللجنة بان يصبح لديها آلة جاهزة لانتاج هذه الأحرف وطبعها لدى نهاية عام ١٩٥٤ كما انها تأمل أيضاً بان تتمكن من عرض اجهزة للبيع خلال عام ١٩٥٥ . وقد تبلغ كلفة كل آلة زهاء ١٢ الفاً ومئتي استرلينية ، ويقدر ان تنخفض تكاليف صنع احرف برايل حسب الطريقة الحالية الى النصف او الثلثين .

● ان قليلاً من الاشخاص ليدركون الأعداد العديدة واختلاف المنتوجات التي تصنع من المواد الكياوية التي تنتج من الفحم .

وتشتمل قائمة هذه المنتوجات على الاسبرين ، والكورتيسون والنوفوكايين والفيتـامينات ، وعلاجات السلفا ، والنايلون واللوسايت وغيره من اصناف البلاستيك واصناف المطاط الصناعية والنيوبرين ، والعطور ، والدهان المانع للحريق واصباغ المنسوجات والأصباغ التي تظهر البكتريا تحت المجهر . والد. د. ت. والكيروسوت . واسيد البتريك المستعمل في المتفجرات ، وعلف المواشي والأسمدة الكياوية وكثير غيرها من المنتوجات الأخرى .

● استطاع مصنع لمعاطف الشتاء في مانشستر ايجاد نوع جديد من الاقمشة المصنوعة من المعجنات ولكنها ذات ثقوب دقيقة ونحيفة .

ومن خصائص هذه الثقوب ان تسمح للهواء بالدخول الى الجسم ولكنها ترى عندما تضع القماش ازاء النور . وعلى الرغم من انها مصنوعة ضد المطر بيد انها تسمح للجسم بالتنفس وبدخول الهواء اللازم له .

● قدم الدكتور ليل بورست استاذ الفيزياء في جامعة نيويورك لمؤتمر شركات الكهرباء وسكك الحديد تصميماً لمحرك ذري جديد لتسيير القطارات بقوة الطاقة الذرية .

ويقول الدكتور بورست ان المحرك المقترح يمكنه ان يسير مدة سنة كاملة بكمية ١١ باونداً من الاورانيوم فقط ويمكنه ان ينتج قوة تزيد اربعة أضعاف على احدث محركات الديزل الحالية .

ويبلغ طول المحرك الذري المقترح ١٧٠ قدماً ويحتوي على مكان خاص لتوليد الطاقة الذرية التي تسير القطار داخل « درع » قوي من الفولاذ لمنع الاشعاع الذري من التأثير على صحة العمال الذين يقودون القطار .

● عثر في بيروت بلبنان على آثار فينيقية يعود عهدها الى القرن السادس عشر قبل الميلاد بينما كان العمال يحفرون اساس احد المنازل القديمة وتتألف هذه الآثار من قبرين اثريين وعدد من الجرار الفخارية وهي بحالة سليمة ويرجع عهد هذه الآثار الى أيام الهكسوس وهي قبيلة عربية قدمت من اواسط الصحراء العربية وغزت مصر وسورية ولبنان منذ اكثر من ٣٥٠٠ سنة وتعرف هذه القبيلة. بالرعاة وقد صرح الاستاذ موريس شهاب مدير مصلحة الآثار في لبنان بان لهذه الآثار قيمة تاريخية وقال ان هذا النوع من الآثار موجود في لبنان ولكن الجديد في الأمر ان هذه هي المرة الاولى التي يعثر فيها على مثل هذه الآثار في مدينة بيروت .

● يؤكد المهندس الفرنسي جان كوربي ان الصورة التي تعكسها المرآة العادية التي تنظر فيها لا تظهر ملامحك الحقيقية التي يشاهدها الناظر اليك لأن هذه المرآة معكوسة ولذلك فانك لا تستدل منها على ملامحك الحقيقية .

وقد اعتمد هذا المهندس على الأبحاث التي قام بها البروفسور الفرنسي كريتيان الذي يعتبر اب « السينما سكوب » فصنع مرآة جديدة ستحدث ثورة لأنها تعكس بدقة وجلاء الملامح الحقيقية للوجه او اي شيء آخر يعرض امامها .

وقد اطلق على هذه المرآة اسم «ايزوسكوب» وهي مكونة من مرآتين توضعان على شكل زاوية قائمة فتعكسان صورتين حقيقيتين للشخص الذي يقف امامها .

ويقول المهندس انه من الضروري ان تثبت المرآتان على زاوية ٩ درجة والا فان الصورتين المنعكستين لن تتساويا كما يجب ان تلتصقا التصاقاً تاماً .

ولهذه المرآة الجديدة ميزة اخرى اذ انها توسع لوحة الرؤية الى ضعف المسافة التي تفصل الشخص عن المرآة .

● تم خلال الحفريات التي قامت بها الدوائر السورية المختصة في عدد من المحافظات وخاصة في محافظة اللاذقية عن اكتشاف مناطق غنية بمعدني الكروم والمنغانيز وقد استمرت عمليات التنقيب والدراسة مدة طويلة من الزمن وانتهت اخيراً الى اتخاذ الترتيبات لاستخراج هذين المعدنين بكميات وافرة تسمح ببيعه والاستفادة منه في زيادة دخل سوريا القومي .

● اعلن الدكتور يرسي ولكنز عضو مؤسسة الارصاد الجوية الملكية بلندن اكتشاف جسر غريب في القمر والجدير بالذكر ان هذا الجسر قائم بين جبلين ويمتد فوق سهل طوله ١٥٠٠ م.

وقد صرح الدكتور يرسي ويلكنز بانه يأمل ان يلتقط صورة لهذا الجسر الذي يبلغ طوله زهاء ميلين ونصف وعرضه ميل ونصف ويمتد على ارتفاع ٥ آلاف قدم فوق فوهة هائلة وهذا الجسر لا يرى في اية صورة من الصـور التي اخذت للقمر ولا يمكن رؤيته الا خلال ليلتين او نحوهما في الشهر وذلك عند يسطع النور على القمر سطوعـاً جانبياً فيبدو ظل الجسر في شكل قوس .

● أدلى رئيس لجنة الطاقة الذرية في الكونغرس الأميركي ببعض التفصيلات عن القوة المدمرة للقنبلة الهيدروجينية التي فجرت في المحيط الهادي عام ١٩٥٢ فقال ان الجزيرة التي اجري عليهـا الاختبار قد امحت تماماً ، وان القنبلة احدثت فجوة في قاع البحر بلغ عرضها كيلومتراً ونصف الكيلومتر وبلغ عمقها ٦٠ كيلومتراً ، واضاف ان هذا الانفجار لو وقع على مدينة لحطم تماماً كل شيء في نطاق دائرة قطرها عشرة كيلومترات تقريباً .



١ – تفسير القرآن الكريم

اجزاء متتابعة – منشورات دار المعارف بمصر

بتعاون الاستاذان محمود محمد حمزة المفتش بوزارة المعارف المصرية سابقاً ، وحسن علوان ناظر مدرسة الجيزة الثانوي ، في اصدار سلسلة من الاجزاء المتتابعة لتفسير القرآن الكريم ، وقد تم لهما حتى الآن اصدار تفسير اجزاء عمّ ، وقد سمع ، وتبارك ، ثم اصدروا ثلاثة اجزاء في التفسير تضمنت سورتي البقرة وآل عمران .

والحق يقال ان هـذا العمل الجبار ، هو حدث عظيم في تدريس القرآن الكريم ، وخطوة خطيرة في توضيح التعاليم الاسلامية .

فالطريقة التي يتبعها المفسران في عملها هي انهما يثبتان اولاً نص السورة الكريمة محركة ، ثم يشرحان ألفاظها ، ثم يبينان معانيها ، فيخرج القارىء بصورة جلية لمضمون الآيات البينات وبثروة هائلة من الفاظ اللغة العربية ، وبلاغة تعابيرها .

ولنأخذ على سبيل المثل « سورة العاديات » ، فيقول القرآن الكريم : « والعاديات ضبحاً ، فالموريات قـدحاً ، فالمغيرات صبحاً ، فأثرن به نقعاً ، فوسطن به جمعاً ، إن الانسان لربه لكنود ، وانه على ذلك لشهيد ، وانه لحب الخير لشديد ، أفلا يعلم اذا بُعثر ما في القبور ، وحصل مـا في الصدور ، ان ربهم يومئذ لخبير » .

ثم يأتي شرح الالفاظ ، ويكون على هذا النحو :

العاديات : الخيل التي تجري مسرعة في الغزو

ضبحاً : مخرجة من افواهها – وهي تتنفس – صوتاً صادراً من جوفها .

الموريات : الخيل التي تخرج النار بجوافرها وهي تعدو .

قـدحاً : ضاربة الحجارة بجوافرها ، فتخرج شرراً .

المغيرات : الخيل التي تهجم على العدو .

أثرن : هجن وحركن في عدوهن .

نقـعاً : غباراً .

فوسطن به : فدخلت الخيـل بالغبار وسط الاعداء .

جمـعاً : جماعة الاعداء .

كنود : كافر بنعمة ربه ، جاحد لها .

الخـير : المال .

لشديد : لشديد الحب له فلذلك يبخل به .

بعـثر : اخرج وبعث .

حصل ما في الصدور : ظهرت اسرار الصدور من خير وشر .

خبـير : عالم بحال الناس .

ويأتي بعد ذلك مجمل المعنى على هذا النحو : يقسم الله بالخيل التي تجري مسرعة لغزو الاعداء ، فتخرج من افواههـا زفيراً عالياً ، وتضرب الارض بجوافرهـا ، فتخرج ناراً من شدة عدوها ، وتفاجىء الاعداء بالهجوم عليهم صباحاً ، وهم غافلون ، فتثير الغبار ، وتدخل وسط الاعداء بغبارها ، فتشتتهم وتهزمهم – ويقسم الله ان الانسان مـع توالي نعم الله عليه ، كافر بهذه النعم ، وانه ليشهد على نفسه بكفرانه نعم الله ، لمنعه الخير عن عباده ، وانه ليحب المال حباً جما ، فيجدُّ في طلبه وتحصيله ، ويبخل به بخلًا شديداً على المحتاجين .

ألا يعلم ذلك الجحود البخيل ان عاقبته سيئة يوم القيامـة ، حين يخرج الناس من قبورهم للحساب ، ويظهر مـا تكنه صدورهم . ان الله سبحانه وتعالى ليجازي يومئذ كل امرىء بما قدمت يداه ، من خير او شر ، لانه عالم باحوالهم ، مطلع على خفايا صدورهم .

وهكذا يتابع المفسران تفسيرهما اللغوي والروحي للكتاب المنزل ، بطريقة فريدة في بابها ، تستهوي القارىء مهما كان مذهبه ومعتقده ، وتفتح امامه ما قد اغلق عليه فهمه من اسرار القرآن الكريم ، الذي يؤمن به اكثر من مئتي مليون من البشر ، منتشرين في شتى اقطـار المعمورة ، ومنهم حوالى ستة ملايين في القارة الاوروبية .

والمفسران لا يكتفيان بشرح الكلم والمعنى ، وانما يذكران جميع الحوادث التي لهـا علاقة بالآيات الكريمة ، حتى ترسخ الفكرة في رأس القارىء ، ويدرك اسبابها الزمنية ، المطوية في فجر الاسلام .

فهذا العمل في الواقع جبّار وجريء، جبّار لانه يتطلب التبحر في الفقه الاسلامي، والرجوع الى المفسرين السابقين والمعاصرين، لغة ودينا، وجريء لانه يقدم للعالم الاسلامي تفسيراً مركّزاً لا غبار عليه، يقره علماء المسلمين، ويقولون بتدريسه.

ويقول المفسران بهذا الصدد: «ولقد رأينا ان نعرض المقصود اولاً من معاني الكلمات والعبارات والجمل عرضاً مجملاً، لنخفف على من يبتغي مجرد التلاوة مؤونة الاطلاع على المعاني المبسوطة، والاحكام المفصلة، والحكم المبينة، ثم نشرح الآيات شرحاً بيّن القصد والتفصيل، والايجاز والتطويل، حتى لا يستغلق ولا يُمل، متجنبين التعمق الذي يكد الذهن، مراعين الوضوح الذي يلم بكل الدقائق والاشارات، والمرامي والغايات».

والنتيجة التي نخرج بها من مطالعتنا كتب التفسير هذه ان معاني القرآن الكريم اصبحت في متناول كل انسان، وليست حكراً بفريق من الناس.

٢ – الفن والتربية الاجتماعية

لسعد الخادم – ١١٢ صفحة – منشورات دار المعارف بمصر

وهذا كتاب جديد في التربية، مقسم الى خمسة اقسام وهي: الطفل والمجتمع، وتفاعل الفرد بالمجتمع، والعمل الفني كتراث اجتماعي، والعمل الفني ونظام تقويه، والفن والتراث الاجتماعي.

والكتاب على صغر حجمه، مرتب ومكثّف على احدث الطرق العصرية، ويتضمن معلومات جمّة، وقواعد هامة، في موضوع الفن والتربية الاجتماعية.

ويستهل الكتاب في بحث الفطرة والوعي ويصفهما ككفتي الميزان الذي يقيس به الطفل العالم الخارجي.. ويحدث الا تتوازن الكفتان، فترجح احداهما على الاخرى، ويخلق ذلك ظرفاً استثنائياً يطغى فيه احد القياسين على الاخر، والطفل ازاء هذا التناقض في شخصيته يشذ تطوره وينعكس هذا في جميع مظاهر حياته بما في ذلك تعبيره الفني.

وما هي مرحلة المراهقة ؟..

يرى المؤلف ان فترة المراهقة هي حلقة من حلقات التطور الحرجة، لان الطفل يتنبه فيها الى نوع جديد من الوعي يحتاج الى تكيف مع العالم الخارجي، وقلب اوضاع تقويه للاشياء..

وقد يتأخر التطور عند بعض الناس حتى نرى الرجل منهم يتصرف احياناً تصرف الطفل، وحتى نرى الجمهور يقبل على ألوان من الثقافة في الكتب والمجلات والقصص والروايات لا يتجاوز مستواها العقلي سن المراهقة!..

ومن الممتع في هذا الكتاب شرحه الدوافع التي تحدو بالانسان الى البحث عن «اسباب التسلية» غير البنائية.. وما «الرغبة الجنسية» الا نوع من هذه الدوافع.

فاقبال الجمهور على الروايات الغرامية في الكتب والسينما، مرجعه «التسلية» عن طريق اشباع الغريزة الجنسية، وقد بات مخرجو الافلام يعتقدون انه لا يتحقق اي نجاح للفيلم الا اذا تضمن مشاهد مثيرة للغرائز الجنسية.

ونرى هذه الظاهرة في المجلات والجرائد، وفي تزيين اغلفة الكتب والمجلات بصورة الفتى والفتاة في اوضاع مختلفة مثيرة للجنسين.

ومن انواع «التسلية» الاخرى قراءة الروايات العنيفة التي تثير الخوف في النفس، وبالتالي تشعره بنوع من اللذة.

وينشأ عن هذا الاندفاع وراء «التسلية» غير البنائية، انه يستنزف جهداً ومادة بالغين، بحيث تعجز الحياة عن اجابتهما. وعند تفاقم هذه الحالة تصير الحياة العملية في افلاس وجداني.. وتوصف هذه الحالة بانها مرض خلقي اعراضه الالحاح المطرد في طلب التسلية، وقلة الحماسة للقيام بالاعمال الحيوية!..

وينهي المؤلف شرح هذه النظرية العصرية الممتعة بقوله: «ففي الوقت الحاضر ليس الاحساس بالفقر، وسوء المسكن، والمرض هو الاساس في الاستياء الشائع بين الناس، بل اساسه الظروف الاستثنائية التي اوجدتها مدنيتنا، والتي تطالبنا في الحاح بفراغ واسع يستغل في التسلية، وتخدير الاعصاب وإلهاء الفكر عن مشكلات الحياة!..».

في رأينا ان هذا الاستنتاج يتضمن قدراً كبيراً من الصحة، لكنه لا ينفي وجود الفقر، وسوء المسكن، والمرض، كظواهر اجتماعية اقتصادية.. فما «التسلية» غير البنائية الا نتيجة لهذه الاشباح السائدة في العالم العربي.. يضاف اليها عامل الجهل.

ثم ينتقل المؤلف الى شرح مراحل تطور الانسان فيقول

ان الانسان لا ينمو على خط سوي ، وانما على مراحل ، تعترضها عقبات .. فبعد كل عقبة من هذه العقبات الكبيرة يتوقف عادة نمو المرء لفترة من الزمن ، يحاول فيها العقل حل المشكلة التي صادفته ، ويجمع طاقة جديدة لمجابهة الصعوبات التي تعترضه ، اما اذا انهارت الروح المعنوية في الفرد أمام المشكلة التي صادفته ، فان الطاقة التي تجمعت لديه ربما تفجرت في صورة مرض عصبي ، وربما وجدت مخرجاً لها في اشباع الغريزة الجنسية ، او الادمان على الخمر ، او نحو ذلك .

وفي الكتاب نظريات حديثة تستهوي لب القاريء بقطع النظر ان كان مربياً ام طالب علم ، وتطلعه على خفايا نفسه ، ككائن اجتماعي .

والكتاب مستند الى ستة وتسعين مرجعاً .. ومدعوم برسوم شاذة من صنع التلاميذ تعرب عن حالاتهم النفسية ، او عن مستوى « سنهم الفني » الذي لا يتناسب مع اعمارهم.. وفي « الرسوم » هذه ما يبلبل افكار اتباع المدرسة السيريالية وفي طليعتهم بيكاسو ..

نجاتي صدقي

خرافة الميتافيزيقا

للدكتور زكي نجيب محمود – طبع في القاهرة

الوضعية المنطقية Logical Positivism مدرسة من مدارس الفلسفة المعاصرة يرجع الفضل في إنشائها الى كل من كارنب Carnap وشليك Shilck وفتجنشتين Wittgenstein فقد اسس هؤلاء الثلاثة جماعة في النمسا يقال لها جماعة ڤينا Vienna Circle إتسمت آراؤها بطابع خاص تمخض عنه إتجاه معين عرف فيما بعد بالوضعية المنطقية . ولقد فشت آراؤها اليوم في كثير من أصقاع أوربا وامريكا ، فمن اكبر الدعاة لها في إنجلترا الاستاذ آير Ayer مدرس الفلسفة بجامعة لندن ، وفي أمريكا الاستاذ كارنب السالف الذكر مدرس الفلسفة بجامعة شيكاغو . ولقد أصبح لهذه المدرسة شأن عظيم في الفكر المعاصر ، وصار لها نفوذ خطير في الدوائر الفلسفية ، خصوصاً بعد أن إنتصر لها كثير من أئمة الفلاسفة التحليليين أصحاب الواقعية الجديدة أمثال جورج مور G. Moore وبرتراند رسل B. Russell وترمي هذه المدرسة من وراء كافة محاولاتها إلى إرساء أسس سليمة للمعرفة العلمية ، ومن ثم إستبعاد كافة العناصر الميتافيزيقية والمعيارية من قضايا التعبير اللغوي ، وكان سبيلها في كل ذلك هو التحليل المنطقي أو الفلسفي لكافة القضايا والتصورات التعبيرية . فقد رأى أعلامها أنه أنجع وسيلة لاصابة الهدف وبلوغ المقصد .

ولقد ظهر في منتصف شهر يونيه الماضي كتاب يعبر أصدق تعبير عن إتجاه الوضعية المنطقية وموقفها من الميتافيزيقا إسمه « خرافة الميتافيزيقا » ألفه الدكتور زكي نجيب محمود .

ولقد دعانا أحد إخواننا من المشتغلين بالامور الفلسفية إلى تسجيل ملاحظاتنا على هذا الكتاب وبيان رأينا في موقف هذه المدرسة وتفضل مشكوراً فأعطانا نسخة من الكتاب .

والكتاب الذي بين أيدينا هو خلاصة ما يقرب من مائة كتاب من أهم ما ألف في الفلسفة المعاصرة ، قد قرأها الاستاذ المؤلف وهضمها وتمثلها وصبها في قوالب ذاتية أضفى عليها شتى التعقيبات الشخصية ، وضمنها الكثير من تأملاته الخاصة بحيث استحق لقب المؤرخ المتفلسف لا المترجم او الملخص ، ولا احسب ان اي تقريظ سيوفي هذا الرائد الفاضل حقه نظير ما تجشم من عناء وجهد مشكورين . واني اذ اكبر هذا الجهد المشكور في اخراج هذا السفر القيم واهنىء صاحبه على براعة العرض ودقة النظر وقوة الحجة وطلاوة الاسلوب التي تتجلى في كل صفحات الكتاب ... إلا انني ارى من الخير ان أبدي بعض الملاحظات في هذه العجالة حرصاً منا على إقرار الحق ووضع الأمور في نصابها ، ويحدونا الى المضي في ذلك تلك العبارة الرقيقة التي ختم بها المؤلف مقدمة الكتاب وهي : « وسأعد القاريء صديقاً إن ايد وجهة النظر التي عرضتها في الكتاب او عارضها لأنه في كلتا الحالتين سيخرج متأثراً بما قرأ » .

واول ما يصادفنا من آراء الوضعية المنطقية – كما هي معروضة في كتاب الخرافة – هو ما جاء في ص ٥ من قول المؤلف : « ونحن زاعمون لك الآن أن كل عبارة ميتافيزيقية هي من أحد نوعين ، فهي اما مشتملة على كلمة او كلمات لم يتفق الناس على ان يكون لها مدلول بين الاشياء المحسوسة او مشتملة على كلمات إتفق الناس على مدلولاتها لكنها وضعت في غير السياق الذي يجعلها تفيد معناها ، وإذاً فالعبارات الميتافيزيقية فارغة من المعنى وليس لنا بدٌ من حذفها » . ويبدو فيما يظهر أن هذا الرأي من المبادىء الأساسية عندهم في هدم الميتافيزيقا ، حتى ان المؤلف قد افرد صفحات عدة لتوكيد هذا المعنى الذي

يتضمنه الشطر الأول من هذه الفقرة [أنظر مثلاً ص ١٤، ٧٦، ١٢٣، ١٧١، ١٧٢] أما الفكرة التي تستفاد من الشطر الثاني فقد صيغت من أجلها نظرية بأكملها من إختراع بعضهم، أطلقوا عليها في زعمهم إسم «نظرية الأنماط» [أنظر ص ١٨٨]. وعندي أن عدم وجود الرصيد الحسي الذي ينبغي ان تشير اليه كلمة من الكلمات، لا ينهض دليلاً على خلاء هذه الكلمة من المعنى كما يتوهم اصحابنا الوضعيون المنطقيون. فمثلاً النقطة الهندسية ما هي في صميمها؟ هي شيء لا طول له ولا عرض ولا عمق ولا ارتفاع، وهي على هذا شيء ليس له وجود، وهي بعد هذا وذاك شيء لو ابطلنا القول به لبطل القول بجميع الرياضيات التي تقوم على تسليم ذلك التعريف، فهل في وسع احد ان يصف الرياضيات بالكلام الفارغ ؟؟ واذا جاز الاستناد الى مثل هذه التعريفات في الرياضة فلماذا يمتنع في غيرها من التحقيقات ؟؟ ومع ذلك دعنا من الرياضيات فربما قيل لنا ان الرياضة تحصيل حاصل ولا كذلك الميتافيزيقا فهي تدعي انها تخبرنا بالجديد عن العالم الخارجي. فنقول ان الأمر في الطبيعيات لا يختلف عنه في الرياضيات «فجل النظريات الفيزيقية تقوم على فروض عقلية خالصة واستدلالات تجريدية بحتة ففرض المكان — الزمان space-time، وفرض البناء الداخلي للذرة الخ... كلها حقائق علمية لا سبيل الى التحقق منها تجريبيا على الرغم من تحقق صدقها الموضوعي. ومع ذلك فهل يجرؤ احد على وصفها بالكلام الفارغ ؟؟ واذا كان الخاصة من اصحاب العلوم الطبيعية يسلمون بها ويستندون اليها، فلماذا يمتنع في غيرها من الفروض الميتافيزيقية المماثلة؟ في الرياضة والعلوم الطبيعية على السواء، كلمات وعبارات لا سبيل الى ان نضع ايادينا على مدلولاتها الحسية، ولا تُعد مع هذا من قبيل الكلام الفارغ من المعنى، فلماذا إذن تعد العبارات الميتافيزيقية وحدها دون غيرها، وعلى هذا القياس نفسه، فارغة من المعنى ؟

اما قول المؤلف عن العبارة الميتافيزيقية بانها قد تشتمل على كلمة او كلمات في غير السياق الذي يجعلها تفيد معناها مما يجر الى وصفها بالكلام الفارغ، فنقول لو اخذنا به لبطلت عندنا جميع التعبيرات الأدبية ولعدت [الاستعارات والتشبيهات وسائر الجمل البلاغية على اختلافها] هي الاخرى من زمرة الكلام الفارغ، وهذا امر لا يسلم به عاقل، ولم يسمع بمثله طوال تاريخ الفكر الانساني؛ ثم لقد غاب عنهم ان الفاظ اللغة متشابكة كل التشابك ومتداخلة أشد التداخل هذا فضلاً عن انها في صيرورة دائمة وتطور مستمر بحيث انه من المستحيل ان نحدد لكل رمز مرموز لا يحيد عنه ولا يبغي به بديلاً وان نحيط كل مجموعة من الكلمات بسياج معين ونعزل الواحدة بعد الاخرى في اطار خاص، متوهمين اننا نصنف الفاظ اللغة في مجموعات، ونقسمها الى انماط.

ثم انظر الى التناقض الذي جاء في عرض المؤلف لنظرية الأنماط مما يؤذن بتصدعها، جاء في ص ١٩١ : «على اننا لا بد في هذا الموضع ان ننبه الى نقطة هامة وهي تحديد كلمة «فرد» — فهذه الكلمة لا نريد بها في المنطق ذلك الجزء الذي لا يمكن تحليله الى ما هو ابسط منه بل الأمر هنا نسبي يتعلق بالسياق... والاسم الواحد قد نجعله فرداً في سياق وفئة في سياق آخر، فالجامعة اسم لفرد في سياق واسم لفئة في سياق آخر، فاذا قلت مثلاً «ارسلت الجامعة خطاباً الى وزارة المعارف، كان اعتباري لها هو انها فرد، واذا قلت ان الجامعة قوامها عشرون الف طالب، كان اعتباري لها هو انها فئة». ثم انظر بربك الى ما جاء في ص ١٩٧ «فكم من فيلسوف يحدثك عن «الوجود» حين يقصد «بالوجود» كل الموجودات جملة واحدة، أرأيت الآن كيف يجيء كل كلام عن الوجود كله دفعة واحدة، كلاماً فارغاً بغير معنى ؟ لأن الوجود تعميم لمفردات» أليس الأمر في صميمه اعتباطياً خالصاً ؟؟ واذا كان ذلك كذلك، أفلا يجوز للميتافيزيقا ان تستعمل كلمة الوجود باعتبارها فئة في

سياق ثم تستعملها باعتبارها فرداً في سياق آخر ولا يكون ثمة تناقض ، مثل « الوجود » في ذلك مثل « الجامعة » ؟؟ والرأي عندي ان موطن الداء في هذه النظرية انها قاصرة ومتصدعة في آن ، وذلك لأنها وُضعت لتحليل اللغـــة تحليلاً منطقياً بحسب قواعدها البنائية فحسب ، في حين ان اللغة فضلاً عن هذا كائن وظيفي في مجال سيكلوجي وآخر اجتماعي . هذا من جهة ومن جهة اخرى فان قواعدها النظمية في التحليل المنطقي للغة بالية تنخر فيها تيارات متضاربة من الاراء .

وحتى نصل الى الفصل الذي عقده المؤلف عن نسبية الخير والجمال تقابلنا في طريقنا امشـاج من الآراء نعجب لهـا اشد العجب ، وتساورنا الدهشة ان تصدر عن اقطـــاب الفلسفة المعاصرة؛ منها اعتبارهم ان الفلسفة الدوجماطيقية هي التي لا تلبث ان تقيم الحجج والاسانيد على المبادىء الاولى في حين ان الفلسفة النقدية تسلم بها تسليما دون ان ترى حاجة الى تعضيدها بالدليل والبرهان ، وهـذا كما ترى قلب لاوضاع الاشياء من حيث ينبغي ان تكون . ومنها زعمهم بان مفهوم العبارة المقبولة هو نفسه طريقة تحقيقها وهو قول يذكرني بروح التفكير المدرسي ويشبه عليَّ قول بعض المتكلمة بأن صفات الباري عزّ وجل ليست خارجة على الذات بل هي نفسها الذات على التحقيق !! واغرب من هـــذا وذاك ــ مما يدعو الى الاسف والحزن ــ تقولهم على الفلاسفة المثاليين بأنهم يحتمون وجود غيلان وعنقاوات كأن الفلاسفة المثاليين شرذمة من الافاقين والدجالين ... !!

اما عن اتجاه الوضعية المنطقية في الاخــــلاق وعلم الجمال فينحصر في النظرية الانفعالية التي تقول بان العبارات الاخلاقية هي مجرد صراخ او صياح تعبر عن انفعالات تشير الى عواطف او تمنيات فردية او جماعية ، ويجملها المؤلف في ص ١١٤ حين يقول « ومن الفلاسفة الاخلاقيين فريق آخر يرى ان العبارة الاخلاقية ــ وكذلك الجمالية ــ هي جملة تعبيرية لا تزيد عن كونها تعبيراً عما في نفس القـــائل من شعور ذاتي خاص به ، وعندئذ يستحيل ان يقف السامع منه موقف المصدق او المكذب لما يقول لانه لا سبيل الى مراجعته فيما يقول ، وكيف يراجعه وهو لم يقل عن العالم المشترك بينهما شيئاً انما نطق بشيء اشبه بالصراع ــ مثلاً ــ او بقهقهة الضحك ؟ والى هذا الفريق الثاني ينتمي صاحب هذا الكتاب . »

والرد على هذه الوجهة من النظر يسير نوجزه فيما يأتي : ــ

اولاً ــ اذا سلمنا جـــدلاً بأن الحكم الخلقي يعبر فعلاً عن وجدانات ويشير الى ميلي نحو فعل او نفوري منه ، فان من الجلي أني لا احب او ابغض من غير تفكير يـــبرر الحب او الكراهية . وان الجدال القائم بين فلاسفة الاخلاق انما يرمي الى الكشف عن مبررات الميل والنفور في كل حال . والخلاصة ان ثمة فاعلية عقلية تعمل وراء الفاعلية النفسية مما يؤهل العبارات الاخلاقية لان تكون موضع جدل اعني قضـايا قابلة للتصديق والتكـذيب .

ثانياً ــ لا نوافق البتة على الزعم القائل بان القضية الاخلاقية هي مجرد جملة تعبيرية عن واقع يحسه المنفعل ، وذلك لان التعبير عن الانفعال في كل صوره هو تقرير لمـا هو كائن في حين ان القضية الاخلاقية تقرير لما ينبغي ان يكون .

ثالثاً ــ ان القول بان القضية الاخــــلاقية مجرد تعبير عن انفعـال لا يفقدها كيانها الموضوعي على نحو ما توهم اصحابنا الوضعيون المنطقيون وذلك لان الانفعال قد يكون عاماً مطلقاً بحيث لا يستطيع احـد منا تفاديه ومن ثم تنهب القضية على الجانب المشترك لجميع الناس .

بعد هذا ننتقل الى الجزء الذي خصه المؤلف للميتافيزيقا تحت معاول التحليل ، التحليل عنـد مور ، والتحليل عند رسل ، والتحليل عند كارنب . ولقد صرح الاخيران بآراء تحدثنا عن معظمها في صدر هذا المقال ، اما مور فقد راعتنا منه ــ ان لم تكن روعتنا ــ نظريته في «الفهم المشترك» ، مما دعانا الى ان نفرد لها القول في ختام هذا البحث . وخلاصة هذه النظرية هي اننا بالفهم المشترك نعرف ان بعض القضايا صادقة ، فبالفهم المشترك نعلم مثلاً ان العـالم المادي موجود وأن فيه اناساً غيرنا وانه قد لبث موجوداً عدة سنين الخ . فليس بنا حاجة الى ميتافيزيقا تبرهن لنا على ذلك ، هذا من جهة ومن جهة اخرى فلو كان هنالك من المعرفة ما ليس يأتينا به « الفهم المشترك » بفطرته او العلم بمشاهداته كالقول بخلود الروح مثلاً فستعجز الميتافيزيقا كذلك عن امدادنا بهذه المعرفة . لا بل اذا جاءت فلسفة تزعم لنا حقائق ينكرها « الفهم المشترك » فهي فلسفة باطلة فالفلسفة التأملية [الميتافيزيقا] ليس في وسعها ان تفند ما يقرره « الفهم المشترك» . اما «الفهم المشترك» ففي استطاعته ان يفند الميتافيزيقا اذا جاءته بما يتعارض مع ادراكه .

والرد على هذه النظرية يطول شرحه ، نجمله بنقطتين :

اولا – اذا تنازعت الميتافيزيقا مع الفهم المشترك فالنصر للأخير .... حسناً ولكننا نتساءل بدورنا واذا تنازع العلم الحديث مع الفهم المشترك فالنصر لمن ؟ اذا قال العلم إن الصوت عبارة عن موجات ، وقال الفهم المشترك إنه احتكاك الاشياء بعضها ببعض ، فأيها نتبع ؟؟

اذا قال العلم ان اللون الاصفر عبارة عن موجة ضوئية ذات طول معين ، وقال الفهم المشترك بأنها صبغة مادية ملابسة للمرئيات فأي الرأيين نرجح ؟؟

يبدو ان مور ليس في وسعه الخروج من بين قرني الاحراج على حد تعبير المناطقة !!

ثانياً : إن نظرية الفهم المشترك نفسها نظرية ميتافيزيقية ، فهي تقوم على مصادرة ميتافيزيقية كبرى وإن لم تعترف بها صراحة وهي أن ثمة اتفاقاً طبيعياً بين الفكر والوجود العيني أو العالم الخارجي .

وبعد فإني أكتفي بهذا القدر من النقد دون تقديس للميتافيزيقا ، ولا إنكار لضرورة حذفها ولا جحود لفضل الوضعيين المنطقيين في هدمها إلا أنه قد تسمو الغاية وتعجز الوسيلة عن بلوغها ، واني لأتقدم للمؤلف الجليل بوافر التهنئة على إخراج هذا السفر القيم شاكراً له فضلاً لا يُنسى أسبغه علينا اذ أتاح لنا فرصة الاطلاع على أهم ما يدور في ميادين الفلسفة الحاضرة .

القاهرة **محمد فرحات عمر**

مي في حياتها المضطربة

جميل جبر – ١٧٠ صفحة – منشورات دار بيروت

طالما رددت اديبة العرب الاولى ، مي ، قولها : « اتمنى ان يأتي بعد موتي من ينصفني ويستخرج من كتاباتي الصغيرة المتواضعة ما فيها من روح الاخلاص والصدق والمحبة » فجاء الاديب المعروف جميل جبر يحقق امنيتها على خير ما اشتهت ان تتحقق .

ان الكثرة الساحقة من الناس كانت لا تعرف عن مي الا انها اديبة كبيرة ، لبنانية الاصل ، عاشت في مصر وجنت في آخر حياتها . ولا عجب فان اكثر كتب هذه الاديبة قد نفدت وان دراسة واحدة لم تكتب عنها . الا ان الاستاذ جبر قد سد هذا الفراغ فنشر كتابه « مي وجبران » منذ سنتين على ما اذكر ثم الحقه «برسائل مي» ثم ترجم لها « ازاهير حلم » الذي كتبته بالفرنسية ، الى ان نشر مؤخراً كتابه « مي في حياتها المضطربة » فجاء لوحة زيتية ناطقة عن حياة تلك التي ما كتبت الا بوحي حياتها .

في هذا الكتاب الانيق الاخراج ، يرافق جميل جبر مي من ولادتها فيدرس مراحل عمرها ، واحدة واحدة ، مظهراً تأثيرها على نتاجها القلمي يدرسها باسلوب علمي سلس رشيق يشعر ان مي امامك على شاشة بيضاء تضحك وتبكي وتتمرد وتلهو ... وتكتب .

ان اديبنا في سيرته هذه يعد الى الطريقة العلمية في «البيوغرافيا» فلا يتخذ من الشخصية المدروسة محطاً ينطلق منه الى التصور الايحائي فيطغي الخيال على الحقيقة ، بل ينهل من الوقائع التاريخية ، ويبقى اميناً لها ، فتراه لا يذكر شيئاً الا واقعياً او منطبقاً على الواقع ، وتراه يحاول ان يجعل الاديبة تتحدث هي عن نفسها قدر المستطاع . ولعله يقترب كثيراً بطريقته هذه من طريقة الكاتب الفرنسي الشهير اندره موروا التي تجمع الى جانب دقة البحث ، رونق التعبير .

فعسى اديبنا الذي كتب اليوم عن حياة اديبتنا الغنية المضطربة التي اعتبرها « ابلغ اثر ادبي خلفته لنا » يكمل مهمته فينشر « مي الادبية » الذي وعد به .

لقد آن لادبائنا الاحياء ان يعنوا بدراسة التراث المغمور ، لانه لا يجوز ان يستمر اعلامنا اسماء طنانة تحوطها هالة من تنميق الوهم والخيال فحسب .

مرسيل كنعان

الهوى والشباب

لبشاره الخوري «الاخطل الصغير» – ١٩٨ صفحة – طبع انيق – مزين بالرسوم – منشورات دار المعارف بمصر

ها انا امرّ في ديوان « الهوى والشباب » اتبيّن ملامح هذا الشعر ، في سطور ، فاخرج من هذه المئتي الصفحة ، وقد عرفت شاعراً غنياً كبيراً هو ، على حدّ تعبير الاستاذ عادل الغضبان : « صنّاجة المحبين يلمّ امانيهم ويجمع اشجانهم ويمرّ بها على نياط قلبه فتطلقها اناشيد تحدّث العشاق عن العشاق .. وذو فؤاد خلقه الله من شعاع ودموع ... »

وليس في هذا الديوان إلا القليل مما يُقيم الدليل على صحة لقب بشارة الخوري بـ « الاخطل الصغير » هذا اللقب الذي ايده الغضبان لا بل فوّقه عليه بقوله : « ... وشاعر الامة العربية جمعاء ... و (الامم) العربية في مكان آخر ، » وفاته انه جعل صاحب ديوان « الهوى والشباب » قلبه من شعاع ودموع ؛ ثم لم ينس ان يردد له « زأرته بالجراح » في مثل :

انا لا اشيّع بالدموع صبابتي   لكن ألفّ جناحَها بجناحي

ولعل تقديمه بشارة الخوري شاعر الهوى والجمال بدلاً من الهوى والشباب فتح له نوافذ التصدير مختلفة الاضواء.

وهذا صاحب الديوان يطـــل على قرّائه « بتحية الشعر » مرفوعة الى سمو الامير عبـد الله الفيصل آل سعود ، وفيها من جلالة الصورة سمـــاوة المديح القديم ورواء الفن الحديث في استلطاف الشكر واريحية « المهر » اذ يقول :

جدّه جدّه الذي شيد الملك على مفرق النجوم الزواهي

قبة من مكارم وجـــدار   من فخـــار وعتبة من جباه

انت للذروة المشمة منه   في الرواءين من شباب وجاه

وبعد الاستئذان من الاستاذ مارون عبود نستعير من إعجاب الهوى والشباب ما نقرنه الى اعجابنا بمقطوعة « الهوى والشباب » التي اعارت الديوان اسمه ، بعد ان خلدت في الاسماع خلودها في القلوب والافهام في موسيقى سيد الحان العربية ، محمد عبد الوهاب ؛ فهي ، على ما فيها من دموع ويأس نموذج من اصدق الفن التعبيري المغنى .

وبعد ان نمر بالقصـــائد من ص ٣٥ الى ص ٤٦ ، مروراً نحتفظ منه بافتنان، مخملي ّ الديباجه ، لمّاح الصورة ذائب الوجد نقف عند قصيدة «هند وامها» وقفة المستطلع تشابيه واستعارات وكنايات غزلية ، قديمة نُسلت من نسيج الابتذال لتطلّ في جـدّة من الحوار ينســاق فيها الشـــعر طريف الذوق أليف الذاكرة .

وتقفل جريدة البرق فيغيب صوت الاخطل الصحفي ّ فيودع « برقه » ليستمر لمعانه شاعراً في صوت هو من مواهب السماء .

وليته بعد « كيف انسى » نسي ان يثبت « فدى للبنـان نفسي » فهي من غير الطراز الاخطلي الرفيـع .

ثم يسير على آثار شاعر فرنسي في الصفحة ٥٥ ليقع على ذاته في « فراشة في وردة » واذا هو يجد نفسه يستقبل الحرب العالمية الاولى لينتزع من مآسيها واحدة هي « الريال المزيف » طرفة من طرف الشعر الوجداني ّ ، الذي يمـــد مبضعه الى فواجع الاخلاق ، يوجز شرها في مثل قوله :

سقطت على قدم الشقا فبكت لها   عين العُلى ومكارم الاخلاق

وكيف لا يكون الامر كذلك وشباك الفسّاق تناولت العفاف النصيع تبتاعه بريال زائف ... !

ويمضي الشاعر يستمد وحي « الاغاني » ليوقّع على اوتار حسه الدقيق واحدة من حكايات الشعراء العذريين، الذين لقبّوا باسماء حسناواتهم ، فينتقي « عروة وعفراء » ويسمو في عرضها غناءً رائعاً فيبدو عروة في عودته اليائسة ، وقـد عرف بزواج عفراء من غيره :

كالنعجة البيضاء حين مرورها   بين الصخور وشائك العيدان

تبقي على الاشواك من اصوافها   خصـــلاً مخضّبة باحمر قان

وخصل العشاق فلذ من القلوب .

ورجعة في قصيدة « مآسي الحرب » الى الحرب في بشاعتها وهولها ؛ بطل إجرامها حاكم وضحيتها اخت حسناء اقتيدت بإغراءِ بالشبع بعد جوع كما تُقاد النعجة للذبح، فتاة اعمـــاها اليأس من الرغيف فنشبت بها اظافر وحش بشري، خرج منها الشاعر بصلاة قدرية حبذا لو شفعها بغضبة ، قال :

ربّ ! قل للجوع يصبح شبعا   وانقذ الطهر الذي قدّسته

او مُرِ الفسقَ فيغدو ورعا   إن يكن شرّا فلم أوجدته

طبعتـــه قدرةٌ فانطبعـــا   اي شيءٍ انت ما قدّرته

ملكٌ حطّمت منه الجانحين   فهوى من بعد ما قد حلّقا

ما تُرى يفعل مكتوف اليدين   أترى يقدر ألا يغرقـــا ؟

ونمضي حتى نصل الى « المسلول » عبرة المنابر المدرسية في ما اعرف، فيها من عظة الحادث وفتنة الصورة ما ينتهي الى القول:

هذا قتيل هوّى بنت هوّى   فاذا مررت باختهـــا فحد

وننتقل بعدها الى «سلمى الكورانية » وقد اصبح الشاعر يوشي غنائيته ببعض طرف الملحمة ؛ فيطلع علينا بلوحة منها ؛ فيها عاصفة حب،ابطالها الليل والنجوم والجن...ليخلص من ذلك الى الكورانية التي احدثها « سلمى مغترب » عرض حكاية حالها في هائية تقيم الدليل على ان شاعرها قد حلّق الى اجواء حديثة ، خالصة الفن والابداع .

واذا ما بلغتَ معي «الصبا والجمال» فقل ان بشاره الخوري صنّاع تخلى موقتاً عن الابراع ؛ افلا ترى في قوله :

نصب الحسنُ عرشه فسألنا   من تراهـــا له فدلّ عليك

خلياً يصطنع وليس غزلاً يُبدع ... ؟!

وعندي ان شاعر «الهوى والشباب» اقرب الى طبعه وابداعه في الغزل ان يتغنى بلسان المولهين البائسين ؛ وهـذا ما تؤيده

ابيات : « يا خيال الحبيب »

ولنترك اصـــداء صوت « اسمهان » تردد في اسماعنا :

« اسقنيها » لنشير الى القمة ، من شعر بشاره الخوري في تصديه لعمر ، في الغزل العربي ؛ فرائيته في عمر ونُعم فريـدة خالدة ان لم يكن له غيرها في الغزل لكفته شرفاً في الوثبة الى سماوة الانطلاق الجامع اسباب الفن في اشراقة وإغراء ...

ومن قال للأخطل أننا ندعوه الى التوبة حتى يقول لنـا :

« من رأى الشاعر تاب ؟ » فتعالوا «نكذب الواشي معه ونخيبه» وان لم نفعل ذلك اضعنا الكثير من بشارة الخالد ؛ وتعالوا مرة اخرى نسمعه كأب، وليأذن لي بالقول ، كأب شاخ ، يخاطب ابنته ، وهي في العشرين ، بشعر ابن منـه طراوة الفتى الغرد الغزل وحلاوته في التلطف !! ولكنها احلام يراها في «وداد» :

توقّدي في خاطري وصفّقي وغرّدي
تستيقظ الأحـــلام في نفسي وتسقيهـــا يدي

ولكنها احلام ايضاً « ندى » ابنته الثانية في الخامسة :

رددت لي بعد يأسي حلم الهوى والشباب

وما قلناه عن «عمر ونعم» في الغزل المنطلق الجامع اسباب الفن نقوله عن « ولد الهوى والخمر ... » فهي اعلى قصائد صاحب هذا الديوان في براعة الشاعر معوّلاً على قدر نفسه واعتداده بفرائد هواه وخمره وتجليته في تصوير ذكرياته على ضفاف بردى وجمال تلك الضفاف ...

ولعلّ « قصائد الألم والعروبة والجهاد » التي اثبتها في هذا « الهوى والشباب » طلائع تبشّر بصدور ديوان آخر يحمل هذه الكلمات الأربع او سواها ، لا ادري .

ولم يشأ ان يفرغ من مادة هذا الديوان دون ان يطلع على شعر الرثاء بما فيه الكثير من التجديد في هذا النوع الذي غلب عليه الابتذال ؛ فأفقده غالباً العناية التي من اجلها يُنظم ؛ فهو يجعل من المرثيين الكبار القدر وسائل لضروب من الفن والقيم النادرة تطالعنا باوسعها ، ان لم نقل بافضلهـــا قصيدة « المتنبي والشهباء » .

وهكذا ننتهي الى القول بان الاخطل الصغير ضمّن « الهوى والشباب » صفحات من الغنائية المشرقة الخالدة ، اشراقة البيان الدائمة واشراقة المعاني الغالبة ؛ فهو فيه بحتريّ الديباجة نواسيّ النشوة موزّع الغزل بين اباحيّته وعذريّته .

نسيم نصر

لمحة في تاريخ الاقصوصة الايطالية

– بقية المنشور في صفحة ٢٠ –

★

ان يتأثر بأي نوع من المدارس القديمة مهما كان علو كعبها . فكان والحالة هـــذه لكل فرد منهم طابعه الخاص ومزاجه وسحنته . ولكن مهما اختلفوا فيما بينهم فانهم يتشابهون كافراد الاسرة الواحدة .

ان ما نراه اليوم في الاقصوصة وما لم نجـــده في اقصوصة الامس وما قبله ، هو روح القلق ، روح ساخرة متألمة من كل شيء . ولا غرابة فان هذا هو مرض العصر وسويداءه .

ان القطار الذي يسير بسرعة مائة كيلومتر او اكثر بالساعة ؛ والسيارة التي تطوي الارض طياً ؛ والطائرة التي تشق حجب السماء فتسابق الرياح ، وقـد باتت الارض تحتها عبارة عن جزيرة تقوم وسط مستنقع من المياه المالحة ؛ والحروب الحاصدة الناس بالجملة بقنابلهـا الذرية والهيدروجينية وغيرها . ان هذه الاشياء التي تملأ عصرنا فمسامعنا فانظارنا ، لا بد ان يكون لهـــا تفاعل في انفس الكتاب الحساسة . وما اكثر الكاتبين الذين اصبحوا برمين بهذه الحياة ، يجاهرون في كل سانحة باكتفائهم من دنياهم لانها تخيفهم وهم يخشونها .

وهؤلاء الكتاب على فئتين : منهم من ينطوي عـلى نفسه ويؤثر العزلة ويكتب ما يستوحيه من ماضيه وحاضره .

ومنهم من يتشجع ويريد ان يلاقي هـذا القرن العشرين الصاخب وجهاً لوجه . ويعمل عـلى اقناع نفسه ان هذا العالم كما يراه الان ، لا بُدّ ان يزول . ولذلك نراه يحيا ويؤلف وهذا الأمل لا يفارقه .

لقد انعكست كل هـذه الاشياء في الاقصوصة الايطالية فكانت تخرج احيانا الينا بحلة قشيبة عليها طابع الابتكار .

مصطفى آل عيال

مصادر البحث :

١ – تاريخ الادب الايطالي : « Pedrina » الطبعة الثانية عشرة .
٢ – اجل القصص الايطالية : «Morpurgo» الطبعة العاشرة .
٣ – موجز تاريخ الادب الايطالي : « Galletti - Alterocca »
٤ – الكتاب الايطاليون في القرن التاسع عشر والنصف الاول من القرن العشرين « Calcaterra »
٥ – الخالدون في الادب الايطالي « Bertani » .
٦ – بيرانديلو « للاستاذ محمد امين حسونه » اقرأ ٧٩



على كل من يريد ان يتوجه الينا بسؤال ان يتكرم بارساله
الى : مصر – القاهرة – المنيرة
٢٣ شارع امين باشا سامي
الدكتور ابو مدين الشافعي مدير معهد علم النفس

★

● ن. ج. ا. – الموصل

مات والدي فجأة ولم أصل الى الاعتراف بوفاته . وأنا انتظر رجوعه رغم ان عقلي يقول لي مات وأنه لن يعود. ويحدث لي هذا الصراع آلاماً نفسية شديدة . وأنا معذبة .

– حالتك شائعة ومعروفة وهي ناتجة عن الخوف من ألم الفراق الذي لم تشعري به الآن . وفرارك من ألم الاعتراف بالموت يوقعك في آلام الصراع . وانت في حاجة الى تحليل نفسي منظم يجعلك تتصلين نفسياً بفكرة الموت عموماً ثم بموت والدك خصوصاً ليظهر الانفعال الطبيعي المكبوت . وبقاؤك على هذه الحال سيرهق أعصابك وسيوجه سلوكك الى مواقف تعويضية قد تكون غير مفيدة ومضيعة لجهودك .

● ك. د. – بغداد

اشعر بحزن مستمر مع أن كل الظروف المحيطة بي باعثة على الاطمئنان وحاولت ان أجد ما يعكر صفو البال فلم أجد لذلك سبباً يذكر ؟ وأنا مستقيم لا أشرب الخمر ولا اخرج عن المبادىء الأخلاقية بل أتمتع بسمعة طيبة من حيث سلوكي . وكل الناس يقدرون تضحياتي في سبيل خدمة الآخرين وأقوم بكل واجبات الاسرة المكونة من أم عجوز وأخوات .

– يفهم من شكواك أنك موجه نشاطك الى خدمة الآخرين بشكل زائد وذلك لأنك ولا شك تحملت مسئوليات جساماً قبل الاوان وولد ذلك في نفسك شعوراً بالواجب المبهم فأسرفت في محاولة القيام بكل الواجبات دون ان تعطي لنفسك حقها من العناية والراحة . وهذا هو سبب الحزن المعبر عن شعور بالغبن والحرمان . لا تنس نفسك ووزع اهتمامك بالعدل بينها وبين الآخرين . وانت لا شك بعد ذلك واجد الراحة وشاعر بالاطمئنان .

● س. ب. – طنطا

لي شغف كبير بالحيوانات وخصوصاً القطط . وتراني أعتني بها عناية كبيرة وأشفق عليها بشكل قد يقلق راحة بالي . ويثير ذلك سخرية اعضاء الاسرة والجيران. ويشير الي البعض اشارة خاصة فيها التعريض بقواي العقلية . وأنا حائر في أمري ويدخلني احياناً الشك في عقلي ، واريد حكماً صريحاً في حالي : هل أنا مجنون ؟

– لست مجنوناً ، وانما أنت حساس وحساسيتك تجعلك سريع التأثر بما تراه حولك . إنك لا شك ناقص عطف ومحروم من العناية ويوجهك ذلك الى تحقيق ما انت محروم منه نحو الحيوانات . وحالتك هذه شائعة وتسمى في علم النفس حالة اسقاط . وان كانت عنايتك بالقطط لا تتجاوز الحد الطبيعي فليس هناك ما يمنعك من الاستمرار فيها . ويحسن مع ذلك تحليل نفسك علك تعثر على عقدة نفسية يمكنها ان تقلقك في يوم من الأيام .

● ع. – صيدا

اني لاجىء من فلسطين تحسنت حالتي بمساعدة بعض الاخوان ولكني أشعر بضيق نفسي شديد لأني أتذكر اسرتي التي تشتت في انحاء البلاد العربية.وفقدت ابناً افكر فيه باستمرار،ولا يريحني الا البكاء.وتراني احياناً أفقد ذاكرتي ولا أعرف اتجاهي وأشعر بعد ذلك بخوف شديد على قواي العقلية.

– اني معجب بقوة تحملك الذي جعلتك تستأنف نشاطك وتعمل مستفيداً من مساعدة الاخوان أهل صيدا الكرام . وأما حزنك على الابن والاسرة فهو حزن طبيعي لا يمكننا ايقافه لأنه وليد الرحمة الانسانية . وليس لك من سلاح الا قوة الايمان لتدافع عن رأس مالك وهو صحتك وإلا مَكَّنْتَ الزمان من ان يقضي على ما بقي من اسرتك . فانظر الى الآتي من الأيام لتستطيع مقاومة آثار ما مضى دون كبت أو محاولة نسيان .

● ز. ك. – بيروت

منذ سنة أصبحت كثير النسيان بعدما كانت ذاكرتي قوية وكنت حاضر البديهة.ويحدث لي هذا التغير شعوراً بالنقص والضيق. وكنت أحسب المسألة هينة الى ان أصبحت أشعر بالخوف المستمر . ويهيأ لي أنني مهدد وأن المكائد تدبر لي في الخفاء وأني سأفاجأ بشر ما . ويحاول اهلي وأقاربي تهدئتي عبثاً والحالة تزداد سوءاً .

– إن ضعف الذاكرة يدل على بدء ضعف في النشاط النفسي قد يكون سببه جسمياً مثل سوء الهضم او نفسياً من الانفعالات الشديدة وعدم الاستقرار ولا أخفي عنك ان المرحلة الأخيرة التي تعرضت لها نفسك من خوف مستمر وتوقع الشر تستدعي عناية سريعة . وأنت في حاجة الى راحة مستعجلة والى اشراف على أساس علمي يوجهك الى نظام معين في الحياة .

● ا. م. – شرق الاردن

اسرف في تعاطي بعض المواد المهدئة وأصبحت لازمة من لوازم حياتي وأخشى عدم الحصول عليها في يوم من الأيام . وأتصور الشقاء الذي سأتعرض له من أثر ذلك.وهذه الأفكار تشغل كل بالي وتمنع عني الراحة وتعوقني عن العمل . واصبحت أقضي الأوقات الطويلة في التفكير دون أن أصل الى نتيجة تذكر . فما هو الحل للخروج من هذا المأزق الذي يبدو سهلاً ولكني في الواقع اعاني منه آلاماً نفسية مرة لا توصف .

– ابحث عن السبب الذي يدفعك الى تناول المواد المهدئة لتستغني عنها . لأن وجود السبب سواء كان نفسياً او جسمياً سيحملك دائماً على استعمال هذه المواد.ويمكنك بشيء من التفكير الجدي في امرك الوصول الى سبب الاضطراب إنك نسيت القصد من تناول المواد المهدئة وهو القضاء على الاضطراب بصفة وقتية الى حين اكتشاف السبب والقضاء عليه وأعرف حالة شخص كان يشكو من اضطرابات عصبية حادة ، وتفاقت حاله واضطر لتناول المواد المهدئة ووقع في حالة شبيهة بحالتك وأوشك على الوقوع في اخطار لا داعي لذكرها. وبعد الفحص والدرس تبين أن افراز مرارته كان صعباً وضئيلاً وكان يحدث عسر هضم وارتفاع في الضغط وتهيج في الأعصاب. فبمجرد ما تناول دواء يسهل افراز المرارة تغيرت حالته وكأنه سحر وانقلبت حالة الشخص من الاضطراب مع المواد المهدئة الى الهدوء والراحة والنوم العميق .

جولة الأديب في شهر

البياتي .. والشعر العربي الحديث

بقلم زهير السعداوي

★

بالفوام الفارع ، والبسمة السمراء المشرقة فوق الملامح الخمرية طلع علينا الاستاذ عبد الوهاب البيـــاتي في « الجـريدة » .

ورحبنا بالأديب الواعي ، والشاعر الثائر . ثم زدنا اعجاباً على اعجاب بالثورة الوادعة تعتلج في النفس المطمئنة . بالثورة الصوفية التي تختفي في صدق واصالة وراء شمائل سمحة ، وخلق كبير ، وادب لباب . ثم تتسربل بابتسامة رقيقة شفافة تنم عن روح انساني فيه براءة الطفل، وعزمة المارد، وايمان كالاعلام الراسية .

وسعدنا بلقاء « البياتي » وتمتعنا بحديثه . وحديث « البياتي » همس فيه حرارة النجوى ، ورونق الاخلاص ، وبهاء التفتح والوعي . كيف لا والبياتي في المرتبة الرفيعة التي عرفها الجمهور العربي المثقف بين هذا النفر الممتاز من فتيان العراق ورواد نهضته الفكرية والادبية . ذلك النفر الذي يطلع على الدنيا العربية بروائع حية من المنظوم والمنثور اللذين تتبدى في سماتها معالم البعث ، وامارات العبقرية والتجديد . ولقد تحدثنا الى الاستاذ عبد الوهاب البياتي عن الأدب العربي، وهموم هذا الادب، وطموح هذا الادب للاستقرار على رسالة انسانية تحررية تليق بمكانته السالفة بين آداب العالم .

وقد وجهنا الى الاستاذ البياتي هذه الاسئلة التي تفضل بالاجابة عنهـــا في سماح وسخاء :

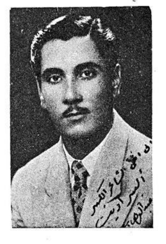
الشعر العربي اليوم

س — ما رأيك في حاضر الشعر العربي، وفي موقعه من المستوى العالمي ؟

ج — تتبدى في حاضر الشعر العربي الحديث اشراقات تلتمع بين حين وآخر في عواصم النشاط الفكري والادبي بالعالم العربي ، ومنه شمال افريقيا . وان هذه لتبعث الثقة والاطمئنان الى ان الشعر العربي الحديث قد شرع يتبوأ مرتبة رفيعة بين مراتب الشعر العالمي . فلو ترجمت بعض هذه الاشراقات الشعرية الى اللغات الاجنبية المختلفة ، فانها لا بد ان تحظى بالاعجاب في كل مكان ، وتعتبر ذخراً للأدب الانساني قاطبة .

س — ما هي مصادر هذه الاشراقات التي تحدثت عنها ؟

ج — نشأ بعد الحرب العالمية الثانية جيل قلق فتح عينيه على المأساة التي يعانيها الوطن العربي، والتي تمثل وتبرز في مجالات السياسة والاقتصاد والثقافة والاجتماع . مأساة اشترك في صنعها الاستعمار ، وظاهرته الرجعية السياسية والفكرية، والمؤسسات الاقتصادية التي مدت يدها بالتعاون مع هذا الاستعمار . وقد فتح هذا الجيل عينيه ، واخذ يبحث عبثاً في تركات الجيل الذي سبقه فلم يجد فيها ما يطفىء ظمأه ، ويروي غليله ، ويرضي فضوله . فالتفت هذا الجيل في يأسه ، وبحثه عن الخلاص الى التراث الفكري الذي ابتدعه رجال الطليعة من احرار العالم ومفكريه . فوجد في شعر « اراغون » و « ايلوار » و « ناظم حكمت » و « بابلو نيرودا » وسواهم ما كان يتلهف اليه ، ووقع على الينابيع التي يغترف منها مصادر انسانيته ، ومقومات رسالته التحررية . وفي هذا ما يفسر اجتياز الشعر العربي الحديث المراحل التي يمر بها الشعر عادة من : كلاسيكية ، ورومانطيقية ، ورمزية ، وسوريالية ، وسواها ، ليجد نفسه في المرحلة الواقعية التي تعبر عن جو المأساة التي وجد نفسه في غمارها ..


الاستاذ عبد الوهاب البياتي

وعلى هذا لم تعد اهداف الشعر العربي المعاصر تقتصر على ما كانت تقتصر عليه في الماضي من تغزل ، واستجداء ، ومديح ، وهجاء ، ومن بكاء على الطلول والأموات ، والدعوة في القصائد الطويلة الى ادب القبور ... اجل لقد تعدى الشعر العربي المعاصر ذلك كله حتى غدا يعتبر الاديب مناضلاً يشترك اشتراكاً فعلياً حاسماً في صنع تاريخ وطنه ، وتحضير مستقبله ، والمساهمة في صنع تاريخ

الانسانية جمعاء . وذلك شرط ان لا يؤدي هذا الاتجاه الى الاستهانة بالقيم الفنية لأنها جزء لا يتجزأ من التزام الاديب وانسانيته .

الادب العراقي

س — ما هو نصيب الادب العراقي في هذا التوجيه الطارىء، وما هي جهوده في سبيل تحقيق هذه الرسالة المنشودة؟

ج — نستطيع ان نقسم الادباء في العراق الى ثلاث فئات: سارت الاولى منها في ركاب الرجعية ، والاستعمار ، وكتبت ادباً ميتاً لا يعبر عن الحياة وما يضطرب فيها . ادباً نستطيع ان ننعته بانه ادب محنط او ادب قبور . ذلك لأنه لم يسلك ولم يشأ أن يسلك السبيل القويم الذي يفرضه الواقع ، ثم التطلع الى التخلص من هذا الواقع بما فيه من نكر وفساد .

اما الفئة الثانية فانها فئة طيبة المصادر، حسنة النيات. ولكنها قلقة حائرة في ما يجب ان تأخذ او تدع . لذلك تراها تتأرجح بين مختلف التيارات ، دون ان يكون لها جذور تستند اليها لتهتدي الى نقطة الانطلاق في دروب التحرر والخلاص. ويقيني ان هذه الفئة سوف تلتقي في نهاية مطافها بادباء الطليعة في الطريق الذي ارتضوه فسلكوه .

اما الفئة الثالثة فهي التي سقت هذا الحديث من اجلها . ذلك لأنها الفئة الوحيدة التي بذلت كل شيء ، وضحت بكل شيء من اجل تغيير الواقع العربي . وكان ادباؤها الجنود الذين نزلوا الى ميدان الشعب ، لا ليقتلوا هذا الشعب ، ولا ليستغلوه ولا ليهزأوا منه ومن آلامه وآماله ، بل ليدافعوا عنه ، ويذودوا عن انسانيته ، وحريته ، وكرامته ، وعن مستقبله ومستقبل الاجيال المقبلة من ابنائه . هذه الفئة التي نستطيع ان نعتبرها طليعة ركب التحرر، ومقدمة جيش الخلاص في وطننا العربي.

الطريق الجديد

س — لقد عرفت شخصياً بانك احد رواد الشعر العراقي ، بل العربي الذي ينهض بهذه الرسالة . فما هي الدوافع النفسية والفنية ، والاجتماعية التي جعلتك تسلك هذا السبيل ؟

ج — ان الدوافع النفسية والاجتماعية التي حدتني لسلوك هذا السبيل تعود الى انني قد نشأت كما اسلفت في جيل فتح عينيه على المأساة ، ثم ترعرع ونشأ في جو طبقة مسحوقة كانت تتلقى اللطمات تلو اللطمات، وتتحمل ضريبة الدم، والوطنية ، والفقر.

اما الدوافع الفنية فهي في انني قد وجدت اكثر الشعر العربي القديم ، بل الشعر الذي كتب في اعقاب الحرب العالمية الاولى لا يعبر، الا في النادر، عن حياتنا المسحوقة، واmانينا المكبوتة، وانسانيتنا المهدورة ، ومستقبلنا المهدد . ثم لا يحدو سعينا ونضالنا من اجل الحرية والكرامة . لذلك وجدت ان السبيل القويم في الشعر، والادب عامة، هو ان يعمد الاديب او الشاعر الى اتخاذ وسائله ، وادواته في الصراع الفكري ، والتوجيه في جميع مجالاته من الواقع ومن الحياة مباشرة .

الحركة الادبية في العراق

س — ما هي مجالي الادب العراقي ، وكيف تعبر الحركة الادبية في العراق عن نفسها ؟

ج — قامت في العراق مجلات ادبية وسواها في العصر الحديث ، فوجد الادباء فيها مجالاً لنشر ما يكتبون . ولكن هذه المجلات كانت تموت الواحدة بعد الاخرى نتيجة للضغط والمنع والاغلاق . فالتجأ اكثر الادباء الى مجلات البلاد العربية الاخرى لنشر ادبهم واذاعة افكارهم. وقد كان لمجلة « الاديب » اللبنانية فضل كبير على الادب العراقي . اذ انها المجلة الاولى التي عرفت الادباء العراقيين باخوانهم وكانت صلة بين التيارات الفكرية والشعورية في البلاد العربية .

اما ابرز الفنون الادبية التي يعبر بها الادب العراقي عن نفسه فهي : الشعر ، والقصة . اما ادب المقالة ، والبحث والدراسة ، والنقد فلا يزال وليداً طري العود لا يمثله الا نفر من شباب العراق.

جهود ومشاريع

س — ما جهودك الادبية الماضية، ومشاريعك في المستقبل ؟

ج — بدأت هذه المحاولات الادبية بنظم الشعر وكان ذلك في عام ١٩٣٩ . غير ان الشعر الذي نظمته منذ ذلك الحين حتى عام ١٩٤٦ لم يرق لي كله فاحرقته . ولكنني عمدت في عام ١٩٤٩ ونزولاً عند مشيئة والحاح كثيرين من الاصدقاء ، الى نشر مجموعة شعرية دعوتها « ملائكة وشياطين » . واغلب قصائد هذه المجموعة غزلية . وانني لو اتيح لي ان اعود الى عام ١٩٤٩ اذن لأحرقتها هي الاخرى ، بالرغم من انها نالت شهرة وصيتاً لم اكن اتوقعها .

ومنذ عام ١٩٤٩ بدأ اتجاهي الجديد . وكان انتقالي من المرحلة السابقة مصحوباً بتجارب عنيفة تعرضت لها وليس في

يدي الا شعوري بضرورة وضع حد للمهزلة التي لم تنج منها غالبية الشعراء العرب الا وهي الجري وراء القوافي، والاستهانة بالقيم الجماعية، وبألم الشعب الذي ينتظر من ادبائه ومفكريه ان يلتفتوا اليه. زد على ذلك ان العراق قد مر في هذه الفترة بظروف قاسية، وكان مسرحاً لأحداث رهيبة ايقظت نفس كل مواطن من غفلتها.

اما مشاريعي الادبية التي ارجو ان يتيسر لي تحقيقها في المستقبل فهي زيارة مختلف بلدان العالم، والاطلاع على التيارات الفكرية والادبية التي تمور فيها. ثم محاولة نقل آثار اكثر شعراء العالم الى اللغة العربية. ذلك لأن ادبنا العربي المعاصر يفتقر الى نماذج كثيرة من شعر هؤلاء المفكرين الذين سبقونا في مجال التجربة الانسانية، وفي اتخاذ ادوات التعبير، والنضال من اجل الحياة والغد.

ولديّ الان كثير من القصائد التي كتبتها منذ عام ١٩٥٠ الى يومنا هذا، وهي لم تنشر بعد في كتاب. واني متردد الان في نشرها لانني اشعر بأنني قد تطورت تطوراً جديداً خلال هذه السنوات الاربع.

الادب في سوريا ولبنان

س — ما رأيك في الاتجاه الراهن للادب في سوريا ولبنان. وما الذي ترجو ان يحققه هذا الادب في البلدين؟

ج — كان ادباء لبنان وسوريا منذ الحرب العالمية الاولى رواد الادب العربي الحديث. وليس ذلك بمستبعد على بلدين يملكان كل المؤهلات والامكانات الفكرية، اما التيارات الادبية التي كانت تصطرع في الادب اللبناني حتى اوائل الحرب العالمية الثانية، فقد كانت تيارات تطورية لا بد من خوضها وعبورها لكي يتوصل ادبنا الحديث الى الواقعية. واني لأرجو ان يخطو الادب في لبنان وسوريا نفس الخطوات التي ترسمها الادب العالمي المعاصر. ولا يفوتني في هذه المناسبة ان احيي واذكر جهود اخواني اعضاء «اسرة الجبل الملهم» وجمعية «اهل القلم» و«رابطة الكتاب السوريين» وكافة الصحف والمجلات اللبنانية والسورية التي ساهمت وستساهم في رفعة الادب العربي وازدهاره.

مصادر ثقافية

س — ما هي مصادر ثقافتك ومقوماتها؟

ج — تلقيت علومي في دار المعلمين العالية في بغداد وتخرجت منها في عام ١٩٥٠. ثم عينت مدرّساً في احدى المدارس الثانوية مدرسا للغة العربية وآدابها. وقد تكوّنت ثقافتي من دراساتي الطويلة للادب العربي القديم والحديث دراسة شاملة محكمة حتى انني لم اترك ديوان شعر قديم أو حديث الا قرأته. وقد خرجت من هذه الدراسات المتصلة بآراء ربما اذعتها على الناس في يوم من الايام. اما قراءاتي في الآداب الاجنبية فقد توسلت اليها باللغة الانكليزية وهي اللغة الاجنبية الوحيدة التي اتقنها. وقد تأثرت بنفر كبير من مفكري الغرب وادبائه المناضلين سواء في فرنسا، أو اميركا، أو اوروبا واذكر من هؤلاء مكسيم غوركي خاصة الذي قرأت جميع ما كتبه.

«الجريدة» **زهير السعداوي**

*

المناهج والامتحانات ... وافضل الطرق التربوية

بقلم موسى سليمان

نستفتي «الحياة» كبار المربين، في قضايانا التربوية والتعليمية، وقد وجهت اليهم الاسئلة الثلاثة التالية:

— هل تعتقدون ان المنهج الحالي صالح لأعداد المواطن الصالح؟

— ما هي في رأيكم اخطر مصائب الامتحانات؟

— أي الطرق التربوية الحديثة تفضلون؟

ونقدم اليوم اجوبة الاستاذ موسى سليمان رئيس الدائرة العربية في القسم الاستعدادي في الجامعة الاميركية:

المنهج الحالي والمواطن الصالح

قد يكون في المنهج الحالي بعض الفوائد التعليمية. اما انه صالح لاعداد المواطن الصالح فشيء مستبعد جداً. ذلك ان هذا المنهج لم ينظر في وضعه الى الاسس التربوية التي هي وحدها الكفيلة بايجاد المواطن. بل نظر، اكثر ما نظر، الى المواد، الى الكمية أو الكميات التي يمكن ان تعطى ان تلقن أو تحشى بها ادمغة الطلاب. لا تسلني كيف؟ ولماذا؟ ذلك يحتاج الى مجلد قائم بنفسه. ولكنني اقرر مطمئناً، بعد ان خبرت هذا المنهج درساً وتدريساً، انه قد يتحلى ببعض المزايا

الا بمزية اعداد « المواطن » بمعناها التربوي القومي ، المواطن فقط ، فكيف بالمواطن الصالح ؟

معائب الامتحانات

ليس للامتحانات المدرسية معائب في نظري لو عرفنا كيف نوفق بين المدرسة التي تعد الطلاب للامتحانات وبين اللجان التي تجري هذه الامتحانات . هذا من ناحية . ومن ناحية ثانية لقد اعرنا في هذا البلد الامتحانات ، في نظام البكالوريا الحالي ، اهمية ليست لها ، في الحقيقة وواقع الحال .

الامتحانات وسيلة للحكم على الطلاب في سيرهم الدراسي . فلماذا جعلناها غاية بذاتها ؟ نعد طلابنا لينجحوا في الامتحانات وندرسهم الكيمياء والفيزياء والرياضيات والاداب والفلسفة وجميع العلوم والفنون ، لا لذاتها ، ولا لتذوقها وفهمها وسبر غورها والتمتع بجمالها ، بل ليؤدوا فيها امتحانا امام اللجنة فلا يرسبوا .

ولا شك في ان مثل هـذه الحالة شيء معيب ، نخجل نحن منه في الصميم ولا نريد ان نقوم بأي جهد لاصلاحه .

لقد اصبحت مدارسنا « معامل » تتبارى فيما بينها للنجاح في الامتحان الرسمي واصبح الامتحان الغاية القصوى التي تسعى اليها المدرسة . وهذا وحده عيب من اكبر العيوب ، فضلاً عن انه يخالف ابسط مبادىء التربية الحديثة التي تستهدف العلوم والفنون وجميع انواع المعرفة لذاتها، لا لشيء اخر خارج عنها !

افضل الطرق التربوية

الطرق التربوية التي وصلتنا عن الغرب ، هي كثيرة جداً ، وكلها ، على ما ارى ، تتفرع من اصلين رئيسيين هما : التربية اللاتينية والتربية السكسونية . ولست في معرض تشريح كل من هاتين الطريقتين ومقارنة الواحدة بالاخرى . ولكنني ابادر الى الجزم في ان لبنان خاصة واقطارنا العربية عامة لا يفيدها ان تطبق احدى هاتين الطريقتين على علاتها دون تبديل أو تحوير .

ومما يؤسف له حقاً ان رجال التربية في الغرب ، ما زالوا يكتبون ويبحثون في شؤون التربية وفلسفتها نظرياً وعملياً منذ مطلع هذا القرن العشرين وما زلنا ، نحن عيالا عليهم نأخذ عنهم اساليبهم التربوية بطرقهم التعليمية دون هضمها ، أو على الاقل ، دون ان نسعى لتكييفها وجعلهـا تتناسب مع بيئتنا ومحيطنا .

المدارس التي تتمشى على النظام اللاتيني « فبارك » للتعبئة وحشو الادمغة بالمواد الكثيرة والمعلومات العامة ، والنظريات الفلسفية التي ما ان يهب في وجهها ريح حتى تتبخر في الفضاء . مثل هذه المدارس تستهدف النجاح في الامتحان الرسمي، وهي تستوحي البرنامج « المقدس المنزل » .

الويل للطالب ان حاول طرح سؤال واع ، فلا مجـال للسؤال ، ولا مجال للجواب . الوقت ثمين والبرنامج طويل . ونحن « محشورون » فيجب ان نلم بكل شاردة وكل واردة لنضمن نجاح طلابنا في الامتحانات ! مثل هذا البرنامج يقتل في ابنائنا روح البحث الحر ، ويبوتقهم جميعاً في تفكير واحد قد يكون سخيفاً . ويعيقهم كما يعيق معلمهم عن العمل في سبيل بناء شخصياتهم . وبناء الشخصية من اهم اغراض التربيـة ان لم يكن اهمها .

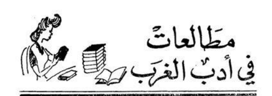
اما المدارس التي تتمشى على النظام السكسوني فهي تتجنب هذا العيب التربوي ، وتفسح المجال امام الطالب للعمل على بناء شخصيته بناء وطيدا ولكنها ، من ناحية ثانيـة ، تكثر من « العطاء » الى درجة الاسراف . فتصبح الحرية الشخصيـة فوضى ويتحول الوقت والعبث والتفكير في كل شيء الا في المعطى للعمل الحر الى وقت للهو المدرسة وبناء الشخصية .

يخطىء من يظن انني اقترح طريقاً وسطا بين الطريقتين التربويتين المذكورتين . ولكنني اعترف بأن لكل منها ميزاتها وفضائلها كما ان لها سيئاتها ومعائبها .

افضل الطرق في تربيتنا ، هي الطرق المستمدة من حياتنا ، من مجتمعنا وحاجاته ، من ارضنا وزراعتنا وصناعتنا وتجارتنا ، من جبالنا التي اقفرت ومن مدننا التي اخذت تكتظ بالسكان على حساب القرى الحزينة الفقيرة . فهل لرجال التربية فينا ان يدرسوا واقعنا هذا ويخيطوا له ثوبه التربوي على قدّه وقامته فلا « يتهلهل » ولا « يتشرشح » مثل هذه الهلهلة وهذه الشرشحة؟

في النظم التربوية الغربية من اوربة واميركيـة ، فضائل وحسنات لا حصر لها ولا عد . ولكن علينا ان نعرف ماذا نأخذ منها وكيف نأخذه ؟ فهذه العملية، عملية الغربلة والنخل، هي ما نحتاجه لمعاهدنا ومدارسنا ليكون لنا افضل الطرق التربوية واصلحها .

« الحياة » موسى سليمان



بقلم اديب مروة

*

في كتاب « النوايا » لاوسكار وايلد ، يجري المؤلف حواراً خيالياً على لسان احد ابطاله دعاه « فيفيان » ، وقد ضمنه آراءه في كثير من الكتاب ، وفيما يلي نرى كيف يعطي وايلد رأيه ببلزاك :

— لقد كان خليطاً بارزاً من طبيعة الفنان ، ومن روح العالم ، فالاولى اورثها اتباع مدرسته ، والثانية احتفظ بها لنفسه ، والمسافة التي تفصل بين كتاب كالمطرقة لاميل زولا وبين « الآمال الضائعة » لبلزاك ، هي كالبعد بين الواقعية دون تخيل ، وبين الواقع الخلاق ... ان جميع شخصيات بلزاك كما يقول بودلير يتمتعون بحيوية ونشاط زائدين ، يمدان بفيض منها المؤلف ذاته ، فجميع بدعه الاسطورية تحمل الوان الحلم ، وكل لمة ذهنية منه مفعمة بالارادة حتى اقصاها ، حتى ان خدمه انفسهم عبقريون ...

ويتابع وايلد قائلا : ان معاشرة بلزاك المستمرة تنسينا قيمة اصدقائنا الاحياء ، لأن شخصيات بلزاك يتمتعون بوجود حار ، كلون النار ، فهم يسيطرون على عقولنا ، ويتحدون تشاؤمنا ، ولقد كانت اعظم مأساة في حياتي موت لوسيان دي روبامبري (احد ابطال بلزاك) اذ تركت في نفسي حزناً لم استطع التلخص منه ، وكانت فكرته تردني حتى في ساعات الانشراح ، واتذكره في احلامي .

على ان بلزاك ليس اكثر واقعية من هولبين ، فهو قد خلق الحياة ، ولم ينقل عنها . واقر بالمناسبة بأن بلزاك له حالة كبرى ، من ادخاله الروح العصرية على الاسلوب ، ومن اجل ذلك فان أي كتاب من كتبه لا يعرف ان يكون اثراً خالداً الى جانب سالمبو لهنري ايسموند ، أو « من الدير الى البيت » و « الفيكونت » لبراجيلون . والقضية هي اذواق والوان .

والجدير بالذكر ان لبلزاك ووايلد في باريس شارعين متقاطعين بالقرب من الشانزليزه !

جاء من انباء المانيا ، ان شركات سكك الحديد هناك ، اخذت تقلد اميركا بوضع مكاتب سيارة على خطوطها الكبرى تحت تصرف المسافرين . وفي هذه المكاتب آنسات مستعدات لتسجيل كل ما يود المسافرون كتابته من مخابرات وافكار .

ولا شك بأن مشروعاً من هذا النوع ذو اهمية كبرى بالنسبة لتشجيع السياحة ، وبث الدعاية للسفر بالقطارات ، لا سيما وانه يسهل مهمة رجال الاعمال ويوفر عليهم كثيراً من الوقت والمشقة ، كما ان الكتّاب والصحفيين يحققون في مثل هذا المشروع حلماً طالما راود مخيلتهم .

فالكاتب الذي تحضره فجأة فكرة طارئة ، وهو مسافر ، واذا بقلمه خال من الحبر ، أو لا يساعده على كتابة كلماته بوضوح بسبب اهتزاز القطار ، تضيع عليه فرصة ثمينة كبرى اذا لم يجد هناك من يسجل له افكاره كهذه المكاتب المتنقلة . وليس على الكاتب بعد الان الا ان يركب القطار ويملي على سكرتيرات المكتب المتنقل ما يريده ، فاذا بقريحته تزداد انتاجاً ، واذا بمقالاته ومؤلفاته وعمله الفكري يتضاعف ، لا سيما وان جميع هؤلاء السكرتيرات لا بد ان يكن جميلات !

ولا ادري اذا كان مثل هذا الخبر مشجعاً او مخيفاً ، لأن حياتنا اصبحت مرهقة ومقلقة بحيث لم يبق امام المرء من سبيل للراحة الا ركوب القطارات ، والجلوس في زاوية احدى عرباته ، وفي هذه الحالة تصبح على العموم جميع اسباب الراحة مؤمنة : هدوء جميل ، ووحدة مطلوبة ، ومناظر مختلفة ، وتغيير هواء الخ ... وهذه فرصة ثمينة قد لا يحصل الانسان عليها الا مرة في السنة أو اكثر ، هذا اذا كان يحق له ان ينال اجازة سنوية . ومع ذلك فهو يجد نفسه مضطراً للعمل والحمل نفسه على تسجيل افكاره والقيام بمراسلاته ، حين يلقى تشجيعاً على ذلك . وهذا معناه ان حياة المرء تظل باستمرار اسيرة العمل ومرهقاته ، لا بل وان الراحة التامة تظل ايضاً بعيدة عن الانسان ، ما دامت الانسانية تحمل له كل يوم معالم جديدة من وسائل الترفيه والتقدم .

وهكذا بدلاً من ان ينتظر احدنا عودته الى مكتب عمله او الى بيته ليكتب رسالته او مقاله فسنذهب جميعاً كالاغنام لنتكدس في القطار ، يشجعنا على ركوبه نداء مكاتبه المتنقلة المغرية ... فيا للتعاسة .



اول فبراير ١٩٥٤ – يستمر القتال عنيفاً في الهند الصينية وقد اجتازت طلائع قوات الثوار حدود اللاوس الشمالية .

٢ – بدأت الانتخابات العامة في طهران ويتولى الجيش الحراسة وحدثت مصادمات بين البوليس وبين جماعات من الطلبة كانت تهتف ضد الشاه. وحدثت عدة مناوشات بين انصار الدكتور مصدق وبين انصار الجنرال زاهدي .

– ما زال المؤتمر الرباعي لوزراء الخارجية منعقداً في برلين وقد حمي وطيسه في جلسته السابعة التي رفض فيها الغرب مشروع الرفيق مولوتوف لتسوية القضية الالمانية .

٣ – خطب جلال بايار رئيس جمهورية تركيا الذي يقوم بزيارة رسمية للولايات المتحدة فنادى بضرورة الاسراع بتنظيم الدفاع عن الشرق الاوسط مؤكداً ان الدفاع عن اوروبا لا يكمل الا بالدفاع عن الشرق .

٤ – لا تزال الأزمة الوزارية على حالها في ايطاليا ويتابع رئيس الجمهورية مشاوراته لاختيار رئيس الوزارة .

٦ – وجه الرئيس ايزنهاور رسالة الى المسؤولين في الحزب الجمهوري طلب فيها عدم الاستماع الى التنبؤات السوداء التي تقول ان الولايات المتحدة تسير نحو الهاوية الاقتصادية .

١٠ – ادلى الصاغ صلاح سالم وزير الارشاد القومي في مصر ببيان خطير قال فيه ان سياستنا ستقوم على اساس عدم التعاون مع بريطانيا بتاتاً ما دامت ترفض تلبية الأماني الوطنية لوادي النيل.

١١ – استدعت الحكومة الفرنسية سفيرها في مدريد المسيو جاك ميريه لاستشارته بشأن ازمة العلاقات الفرنسية الاسبانية .

– انفضت الجلسة السرية للمؤتمر الرباعي المنعقد في برلين بعد ان استمرت اربع ساعات ولم يذكر البلاغ الذي صدر سوى ان المؤتمرين واصلوا البحث المتعلق بالمباحثات المقترحة لاحلال السلم في الشرق الأقصى .

١٢ – صرحت المقامات المسؤولة الأمريكية انها تدرس طلباً فرنسياً بالاسراع في ارسال نجدات اضافية الى القوات الفرنسية في الهند الصينية .

١٣ – اعلنت وزارة الخارجية الأمريكية ان القيادة الدولية تدرس الاقتراح الكوري بارسال قوات كورية جنوبية الى الهند الصينية .

١٥ – قدم السيد محمود المنتصر رئيس الوزارة الليبية استقالته الى الملك ادريس الاول الذي عهد الى السيد محمد الساقزلي رئيس الديوان الملكي بتأليف الحكومة الجديدة .

١٧ – اوضحت الاوساط الامريكية ان فرنسا ستتلقى المزيد من الاموال والذخائر والاستشارات العسكرية لمساعدتها على مواصلة الحرب في الهند الصينية الا ان زيادة المساعدات لن تنطوي على تدخل القوات البرية الامريكية في حرب الهند الصينية .

– عقد وزراء الخارجية الاربعة جلستهم الخامسة والعشرين للمؤتمر الرباعي المنعقد في برلين وقد حث مولوتوف الغرب على قبول مشروع موسكو لميثاق الضمان الجماعي الاوروبي الرامي الى تأسيس جهاز دفاعي يشمل ٣٢ دولة اوروبية ولكن على اساس استبعاد الولايات المتحدة فيه كما طالب من جديد بتوحيد المانيا على اساس الشروط التي قدمها الى المؤتمر .

١٨ – قدم الدكتور عبدالله اليافي رئيس الوزارة اللبنانية استقالته الى الرئيس الجمهورية الذي رفض قبولها بينما اصر الدكتور اليافي عليها .

٢٠ – طلبت هيئة الامم المتحدة رسمياً عقد مؤتمر اردني اسرائيلي بالقدس برئاسة الأمين العام للهيئة شخصياً

٢١ – علق ظفرالله خان وزير خارجية باكستان على المعاهدة التي تم الوصول اليها بين تركيا والباكستان فقال ان هذه المعاهدة ربما ادت الى تشكيل جهاز دفاعي اقليمي للشرق الأوسط .

٢٢ – صرح قائد الجناح عبد اللطيف البغدادي بان مصر تعتزم الاعتراف بحكومة الصين الشيوعية وبحكومة المانيا الشعبية .

– صرح رئيس الحكومة الباكستانية انه طلب رسمياً من الولايات المتحدة امداد بلاده بالعون العسكري لمساعدتها على ان تساهم بقسط اوفر في تأمين السلم العالمي واقراره .

– القى المارشال بولغانين وزير الدفاع السوفياتي خطاباً بمناسبة الاحتفال بتأسيس الجيش الأحمر قال فيه ان القوات الروسية المسلحة باتت في وضع يسمح لها ان توجه ضربة ساحقة الى اي عدو .

٢٣ – ابلغت السلطات الايرانية آية الله الكاشاني انها قررت احتجازه في بيته .

٢٤ – قدم اللواء محمد نجيب استقالته من رئاسة الجمهورية المصرية .

– قبل رئيس الجمهورية اللبنانية استقالة الدكتور عبدالله اليافي رئيس الوزراء .

٢٥ – قرر مجلس قيادة الثورة المصرية بالاجماع قبول الاستقالة المقدمة من اللواء اركان حرب محمد نجيب من جميع الوظائف التي كان يشغلها وان يستمر مجلس قيادة الثورة بقيادة البكباشي اركان حرب جمال عبد الناصر في تولي كافة سلطاته الحالية الى ان تحقق الثورة اهم اهدافها وتعيين البكباشي جمال عبد الناصر رئيساً لمجلس الوزراء. وقد صرح الصاغ صلاح سالم وزير الارشاد القومي بان منصب رئيس الجمهورية سيبقى شاغراً حتى يتم شغله بالانتخاب مع عودة الحياة النيابية .

– اذاع راديو حلب ان الجيش السوري في المناطق الشمالية والجنوبية والشرقية والغربية اعلن العصيان على الزعيم اديب الشيشكلي وطلب اليه مغادرة البلاد حجباً لما قد يحدث من فتن واعلن الراديو ان العقيد مصطفى حمدون قائد منطقة حلب الشمالية يتولى قيادة الثورة .

– قدم الزعيم اديب الشيشكلي استقالته من رئاسة الجمهورية السورية الى رئيس المجلس النيابي وقد غادر الاراضي السورية .

٢٦ – الحالة في سوريا يكتنفها الغموض ففي دمشق اجتمع المجلس النيابي فتلا رئيس المجلس الدكتور مأمون الكزبري كتاب استقالة الزعيم الشيشكلي من رئاسة الجمهورية وانه بموجب الدستور سيقوم بممارسة صلاحيات رئيس الجمهورية بالنيابة بينا قوات الإنقلاب ترفض هذا الحل وتطالب بعودة السيد هاشم الأتاسي رئيساً للجمهورية .

٢٧ – اذاع راديو دمشق ان زعماء الاحزاب السياسية في دمشق اجتمعوا مع رئيس الاركان العامة لاجل التداول بغية ايجاد حل للأزمة القائمة يصون البلاد وحدتها .

– وقعت اصطدامات في دمشق بين رجال الشرطة العسكرية وجماعات من المتظاهرين .

– اذاع مجلس قيادة الثورة المصرية البيان التالي: حرصاً على وحدة الامة يعلن مجلس قيادة الثورة عودة اللواء اركان حرب محمد نجيب رئيساً للجمهورية وقد وافق سيادته على ذلك .

٢٨ – قامت مظاهرات صاخبة دامية في دمشق هجمت على المجلس النيابي مطالبة بحله وقد حل المجلس نفسه اثر هذه المظاهرات .